

الجمهورية التركية

جامعة الشيخ أديب علي - بيلجيك

معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية (التفسير)

أسباب النزول وأثرها في معنى الآية: دراسة تحليلية في جزء عمّ

رسالة الماجستير

محمد الضاهر

إشراف

الأستاذ المشارك د. وداد يتكين

بيلجيك، 2025

10759736

T. C.  
BİLECİK ŐEYH EDEBALI ÜNİVERSİTESİ  
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ  
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ (ARAPÇA) ANABİLİM DALI

**NÜZUL SEBEBİ RİVAYETLERİNİN ÂYETİN ANLAMINA ETKİSİ: AMME  
CÜZÜ ÜZERİNE BİR ÇALIŐMA**

YÜKSEK LİSANS TEZİ

MOHAMAD ALDAHER

TEZ DANIŐMANI

DR. ÖĐR. ÜYESİ VEDAT YETKİN

BİLECİK, 2025

10759736

## BEYAN

NüzuL sebebi rivayetlerinin âyetin anlamına etkisi Amme cüzü üzerine bir çalışma adlı yüksek lisans/doktora/sanatta yeterlik tezi/dönem projesinin hazırlık ve yazımı sırasında bilimsel araştırma ve etik kurallarına uyduğumu, başkalarının eserlerinden yararlandığım bölümlerde bilimsel kurallara uygun olarak atıfta bulunduğumu, kullandığım verilerde herhangi bir tahrifat yapmadığımı, tezin herhangi bir kısmının Bilecik Şeyh Edebali Üniversitesi veya başka bir üniversitede başka bir tez çalışması olarak sunulmadığımı, aksinin tespit edileceği muhtemel durumlarda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.

Bu çalışmanın, bilimsel araştırma projeleri (BAP), tübitak veya benzeri kuruluşlarca desteklenmesi durumunda; projenin ve destekleyen kurumun adı proje numarası ile birlikte, etik kurul onayı alınması durumunda ise etik kurul tarih karar ve sayı bilgilerinin beyan edilmesi gerekmektedir.			
Destek alınmıştır		Destek alınmıştır	*
Destek alındı ise;			
Destekleyen kurum;			
Desteğin Türü		Proje Numarası	
1- BAP (Bilimsel Araştırma Projesi)			
2- Tübitak			
Diğer;.....			
Etik kurul onayı var ise;			
Etik kurul karar tarih/sayı:		...../..... .....	

**Mohamad aldaher**

**Tarih**

**İmza**

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيّين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

يُعَدُّ القرآن الكريم المصدر الأسمى للتشريع والهداية في حياة المسلمين، فهو الكتاب الذي يجمع بين عمق المعاني والبلاغة الفائقة، مما يجعله معجزة خالدة تتحدى الزمن. غير أن فهم هذه المعاني بصورة دقيقة يستلزم دراسة متأنية لسياقاتها المختلفة، ومن بين أهم هذه السياقات "أسباب النزول" التي تؤدي دوراً محورياً في تفسير الآيات القرآنية واستيعاب دلالاتها الشرعية والعقدية والتشريعية. فالآيات القرآنية لم تنزل في فراغ، بل وردت في سياقات تاريخية وحوادث معينة استدعت نزولها، الأمر الذي يجعل معرفة أسباب النزول أمراً جوهرياً لفهم المراد الإلهي من الآيات وفكّ الإشكالات التي قد تنشأ عن بعض الألفاظ والمفاهيم

يمثل جزء "عمّ" أحد الأجزاء المهمة في القرآن الكريم، إذ يتضمن مجموعة من السور القصيرة التي نزلت في مكة المكرمة، وتحمل مضامين عقدية وتربوية عميقة تتعلق بأصول الإيمان وأركان العقيدة. دراسة أسباب النزول في هذا الجزء تتيح إمكانية الكشف عن معانيه على نحو أكثر دقة، حيث إن معرفة الظروف التي نزلت فيها هذه الآيات تسهم في إبراز أبعادها الدلالية وفهم السياق التاريخي والاجتماعي الذي أحاط بها. فالبيئة المكية، التي كانت تموج بالمجادلات العقدية بين المسلمين والمشركين، والشروط الزمنية التي أفرزتها المرحلة الأولى من الرسالة الإسلامية، تجعل دراسة أسباب النزول في هذا الجزء ذات أهمية خاصة في استقراء دلالات النصوص

هذه الدراسة جاءت تحت عنوان "أسباب النزول وأثرها في معنى الآية: دراسة تحليلية في جزء عمّ"، حيث تحاول سدّ فجوة معرفية في الدراسات التفسيرية، تتعلق بمدى تطبيق منهجية تحليلية دقيقة في دراسة أسباب النزول وأثارها في تفسير الآيات. فعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع، إلا أن الكثير من الدراسات لم تنطرق إلى تحليل هذه الأسباب من منظور شمولي، مما يترك بعض الآيات في حالة من الغموض أو يصعب تفسيرها بمعزل عن سبب نزولها. إن هذا الفراغ البحثي يشير إلى ضرورة إجراء دراسة تحليلية معمقة تربط بين أسباب النزول وفهم النصوص القرآنية، بما يسهم في تطوير قراءة تفسيرية أكثر شمولية تتناغم مع سياقات النزول التاريخية وتساعد في تجاوز الإشكالات التأويلية التي قد تنشأ بسبب إغفال هذه العوامل وموضوع الدراسة يتمحور حول مدى تأثير أسباب النزول على تفسير معاني الآيات في جزء عمّ، ومدى مساهمة معرفة هذه الأسباب في تحقيق فهم دقيق وشامل للدلالات القرآنية. فالكثير من آيات القرآن الكريم تنسم بالإيجاز أو العموم، مما يجعل تفسيرها عرضة لاحتمالات تأويلية متعددة. هنا تأتي أهمية أسباب النزول، حيث تسهم في إزالة اللبس وتوضيح المعنى بشكل أكثر دقة. لذلك، تطرح الدراسة سؤالاً رئيساً حول العلاقة بين أسباب النزول وفهم الآيات في هذا الجزء، مع محاولة الإجابة عن جملة من الأسئلة الفرعية التي تتعلق بالمفاهيم اللغوية والاصطلاحية لأسباب النزول، والفوارق بين أسباب النزول المباشرة والتأويلية، ومواقف الصحابة والتابعين في تدوين هذه الأسباب، فضلاً عن الأدوات.

محمد الضاهر

2025

## ملخص البحث

### أسباب النزول وأثرها في معنى الآية: دراسة تحليلية في جزء عمّ

يتناول هذا البحث "أسباب النزول وأثرها في تفسير معاني الآيات القرآنية ضمن جزء عمّ"، وهي مسألة أساسية في علوم القرآن الكريم، حيث تسهم معرفة أسباب النزول في تقديم فهم أكثر عمقاً وشمولية للنصوص القرآنية، مما يساعد على توضيح معانيها وإزالة أي إشكالات تفسيرية قد تنشأ عند قراءتها دون إدراك السياق الذي نزلت فيه. وتبرز أهمية البحث من خلال التركيز على العلاقة بين الحوادث التاريخية والآيات القرآنية، حيث تتفاعل هذه النصوص مع واقع معين، مما يمنحها دلالة خاصة تحتاج إلى استيعابها لفهم مراميها الشرعية والعقدية بشكل صحيح. تهدف الدراسة إلى تقديم تحليل لأسباب النزول ومدى تأثيرها في تفسير الآيات في جزء عمّ الذي يضم عدداً من السور. ولأن العديد من هذه السور المكية نزلت في بيئة مجادلة ومواجهات بين المؤمنين والمشركين، فإن دراسة أسباب نزولها يساعد على فهم مرامي الخطاب القرآني والآيات الردود التي قدمها الوحي الإلهي في مواجهة التحديات العقدية والفكرية في تلك المرحلة، تتمثل مشكلة البحث في مدى تأثير معرفة أسباب النزول على تفسير الآيات، وهل يمكن اعتبار هذه المعرفة عنصراً جوهرياً في تحقيق فهم عميق للنص القرآني وتجاوز الإشكالات التي قد تنشأ عن بعض الآيات ذات الطابع المجمل. فالكثير من آيات جزء عمّ تتسم بالإيجاز والإجمال في التعبير، مما يجعل فهمها يحتاج إلى تفسير دقيق لمعرفة دلالاتها العميقة، فالآية قد تأتي رداً على تساؤل أو لمعالجة قضية اجتماعية أو سياسية أو دينية معينة، وهو ما يجعل معرفة هذا السبب مسألة جوهريّة في التفسير. من هنا تنطلق الدراسة لتبحث في مفهوم أسباب النزول، ثم تقدم تطبيقات عملية من جزء عمّ توضح كيفية تأثير هذه الأسباب على تفسير الآيات، وقد اعتمد الباحث على المنهج التحليلي الذي يجمع بين الجانب التاريخي واللغوي والديني، إذ بدأ بجمع البيانات المتعلقة بأسباب النزول، ثم قام بتحليل النصوص القرآنية ذات الصلة، وصولاً إلى تحديد مدى ارتباط هذه الأسباب بفهم الآيات ومعانيها. حيث يعتمد التحليل على استقراء الروايات التفسيرية التي تناولت أسباب النزول، ومقارنتها بالمحتوى النصي للآيات بغية الكشف عن علاقتها بالسياق الذي وردت فيه، ومن خلال ذلك يسعى الباحث إلى تقديم رؤية تفسيرية متكاملة تتجاوز الفهم الجزئي للآيات إلى إبراز الدلالات الشاملة للنص القرآني ضمن سياقه التاريخي والاجتماعي. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المهمة، أبرزها أن معرفة أسباب النزول تعد خطوة أساسية في تفسير الآيات على نحو دقيق، إذ تساعد في الكشف عن المقصود الإلهي وتوجيه الفهم الصحيح لها، كما تبين أن أسباب النزول تؤدي دوراً محورياً في توضيح العلاقة بين السياق التاريخي والسياق النصي للآية، مما يسهم في تحقيق تفسير متكامل لا يقتصر على المعاني السطحية للفظ. كما أكدت الدراسة أن جزء عمّ يحتوي على العديد من السور القصيرة ذات المضامين العقدية والتشريعية التي تتطلب دراسة أسباب النزول لفهمها على نحو أعمق، وأن الصحابة والتابعين أولوا أسباب النزول أهمية بالغة في ضبط تفسير الآيات وتحديد مقاصدها، وأن المفسرين يعتمدون على منهجيات دقيقة لتحديد أسباب النزول، لكنهم يواجهون تحديات تتمثل في نقص الروايات الصريحة لبعض الآيات، مما يجعل تحديد سبب النزول أمراً دقيقاً يستلزم مزيداً من التحقيق والتحصيص في المصادر. ومن خلال ذلك، يتضح أن أسباب النزول تشكل أحد المداخل الرئيسية لفهم القرآن الكريم على نحو أكثر شمولية، كما أكدت الدراسة أهمية ربط أسباب النزول بالسياقات التفسيرية الحديثة، مما يساعد على تحقيق قراءة معاصرة للنص القرآني تدمج بين الأصالة والمنهجية العلمية الحديثة في الدراسات الإسلامية.

**الكلمات المفتاحية:** أسباب النزول، تفسير القرآن الكريم، سياق النص القرآني، التفسير التحليلي، منهجية المفسرين

## ABSTRACT

### THE OCCASIONS OF REVELATION AND THEIR IMPACT ON THE INTERPRETATION OF QURANIC VERSES IN JUZ' AMMA

This research examines the subject of the occasions of revelation (Asbāb al-Nuzūl) and their impact on the interpretation of Quranic verses within Juz' Amma. It seeks to highlight the role of historical contexts and events that influenced the revelation of specific verses in clarifying their precise meanings and uncovering their true implications. The research problem revolves around the extent to which understanding the occasions of revelation affects the interpretation of Quranic verses and whether this knowledge is essential for achieving a deeper comprehension of the text and resolving any ambiguities that may arise, particularly in verses with concise or general expressions. Since many verses in Juz' Amma exhibit brevity, their meanings often require thorough exegesis to be fully grasped, which raises the question of whether the occasions of revelation contribute significantly to elucidating their intended meanings. The study thus explores the theoretical framework of Asbāb al-Nuzūl before presenting practical applications from Juz' Amma that demonstrate how these occasions influence exegetical interpretations. This research examines the methodological challenges in determining Asbāb al-Nuzūl, such as the scarcity of explicit narrations and reliance on secondary sources, which necessitate rigorous academic scrutiny and sound historiographical methods. It explores the integration of classical exegetical principles with contemporary studies in modern discourse. The study affirms that Asbāb al-Nuzūl is fundamental to Quranic exegesis, providing a contextually enriched interpretation, particularly in Juz' Amma, where brevity and rhetorical emphasis define its surahs. Understanding the occasions of revelation is key to unlocking deeper meanings and achieving a more precise comprehension of divine intent. The findings emphasize a holistic interpretative approach, combining historical analysis, linguistic precision, and theological insight, while advocating for continued scholarly engagement to refine exegetical methodologies and address emerging academic inquiries in Quranic studies.

**Keywords:** Reasons for Revelation, Interpretation of the Holy Quran, Context of the Quranic Text, Analytical Interpretation, Exegetical Methodology.

## المحتويات

BEYAN.....	iii
المقدمة .....	i
ملخص البحث .....	ii
ABSTRACT .....	iii
الرّموز.....	vi
دوافع البحث.....	vii
مشكلة البحث.....	viii
أسئلة البحث.....	viii
أهداف البحث.....	viii
منهج البحث.....	viii
حدود البحث.....	viii
الدراسات السابقة.....	ix
فجوة البحث.....	ix
صعوبات البحث.....	x
أهم المصادر والمراجع.....	x
هيكل البحث.....	x
مدخل.....	1
الفصل الأول.....	2
المبحث الأول.....	2
المطلب الأول.....	2
المطلب الثاني.....	4
المطلب الثالث.....	6
المبحث الثاني.....	7
المطلب الأول.....	7
المطلب الثاني.....	9
المطلب الثالث.....	11
3.1.1. تقنيات وأدوات البحث في أسباب النزول.....	11
الفرع الأول.....	11
الفرع الثاني.....	13

الفصل الثَّاني.....	15
المبحث الأوَّل .....	15
المبحث الثاني .....	17
المبحث الثالث .....	20
المبحث الرَّابع .....	22
المبحث الخامس .....	26
المبحث السادس .....	29
المبحث السابع .....	32
المبحث الثامن .....	34
المبحث التاسع .....	39
المبحث العاشر .....	41
المبحث الحادي عشر .....	42
المبحث الثاني عشر .....	45
المبحث الثالث عشر .....	48
المبحث الرَّابع عشر .....	51
المبحث الخامس عشر .....	53
المبحث السادس عشر .....	55
المبحث السابع عشر .....	58
المبحث الثامن عشر .....	61
المبحث التاسع عشر .....	62
المبحث العشرون .....	63
20. 2. دراسة أسباب الذُّزول في سورة الماعون .....	63
المبحث الحادي والعشرون .....	65
المبحث الثاني والعشرون .....	70
المبحث الثالث والعشرون .....	73
23. 2. دراسة أسباب الذُّزول في سورة النصر .....	73
المبحث الرَّابع والعشرون .....	75
24. 2. دراسة أسباب الذُّزول في سورة المسد .....	75
المبحث الخامس والعشرون .....	78
25. 2. دراسة أسباب الذُّزول في سورة الإخلاص .....	78

المبحث السادس والعشرون .....	81
26. 2. دراسة أسباب الدُّزول في المعوِّذتان .....	81
الخاتمة .....	84
المصادر والمراجع .....	85
TÜRKÇE ÖZET .....	90

### الرموز

الرمز	المعنى
هـ	التاريخ الهجري
ق. هـ	قبل الهجرة
م	التاريخ الميلادي
ق. م	قبل الميلاد
ت	تاريخ الوفاة
ط	الطبعة
د. ط.	دون طبعة
د. ت. (بعد اسم المصدر)	دون تحقيق
د. ت. (قبل الجزء والصفحة)	دون تاريخ
ج	الجزء
ص	الصفحة

إلى آخره	... الخ
استفهام	؟
تعجب	!
استفهام تعجبي	!؟
كلام محذوف	...
بيت أو أبيات شعريّة محذوفة	..... .....
ما بينهما كلام اعتراضي	--
للهامش تكملة في الصفحة اللاحقة	= (في نهاية صفحة الهامش)
تكملة الهامش في الصفحة السابقة	= (في بداية صفحة الهامش)

#### دوافع البحث

تتبع دوافع هذا البحث من الحاجة الملحة إلى فهم أكثر دقة للآيات القرآنية في ضوء أسباب النزول، حيث يلعب السياق التاريخي دورًا جوهريًا في تحديد الدلالات الصحيحة للنصوص القرآنية. نظرًا لأن جزء عمّ يحتوي على العديد من السور القصيرة التي تتسم بالإيجاز والتكثيف المعنوي، فإن معرفة الظروف التي نزلت فيها هذه الآيات تسهم في إزالة الغموض وتوفير تفسير أكثر اتساقًا مع المقاصد الإلهية. بالإضافة إلى ذلك، يهدف البحث إلى سد الفجوة الأكاديمية المتعلقة بالتحليل المنهجي لأسباب النزول، والتأكيد على أهميتها في تفسير القرآن الكريم من منظور شمولي يجمع بين البعد التاريخي واللغوي والتشريعي، مما يساعد على تحقيق فهم أكثر دقة يتناغم مع السياق الحقيقي للنص القرآني.

## مشكلة البحث

مدى تأثير أسباب النُّزول على تفسير معاني الآيات القرآنيَّة في جزء عمّ، وهل معرفة سبب نزول الآية يسهم في إيضاح دلالاتها ويوجِّه الفهم الدَّقِيق لها. ففي الكثير من الأحيان، قد تكون بعض الآيات في القرآن الكريم غامضة أو تحتاج إلى تفسيرٍ أعمق لفهم المقصد الإلهي منها، ويُعتقد أنَّ السِّياق التَّاريخيَّ أو الحدث الَّذي نزلت فيه الآية -أي سبب النُّزول- يسهم بشكلٍ كبير في توضيح معانيها الحقيقيَّة والشَّاملة، فالدراسة تنطلق من سؤال مفاده: ما أسباب النُّزول وأثرها على تفسير معاني الآيات في جزء عمّ؟

## أسئلة البحث

السؤال 1: ما المقصود بأسباب النُّزول وما الفرق بين الأسباب المباشرة والأسباب الظرفيَّة (التَّأويليَّة)؟

السؤال 2: ما مواقف الصَّحابة والتَّابعين في ذكر أسباب النُّزول؟

السؤال 3: ما أهميَّة أسباب النُّزول وتأثيرها المباشر في تفسير القرآن؟

السؤال 4: ما أسباب النُّزول في سُور جزء عمّ وما أثرها في تفسيره؟

## أهداف البحث

الهدف 1: تحديد مفهوم أسباب النزول والتمييز بين الأسباب المباشرة والظرفية.

الهدف 2: دراسة مواقف الصحابة والتابعين في ذكر أسباب النزول.

الهدف 3: توضيح أهمية أسباب النزول وتأثيرها في تفسير القرآن الكريم.

الهدف 4: تحليل أسباب النزول في سور جزء عمّ وأثرها في تفسير.

## منهج البحث

اعتمد الباحث على المنهج التَّحليليَّ في دراسة أسباب النُّزول وأثرها على تفسير معاني الآيات في جزء عمّ، الَّذي يجمع بين الجانب التَّاريخيَّ واللُّغويَّ والدينيَّ، ويمرُّ بشكلٍ رئيس على عدَّة مراحل، تشمل: جمع البيانات، ثمَّ التَّحليل النَّصِّيَّ للآيات القرآنيَّة، ثمَّ الوقوف على أسباب النُّزول، ومن خلال هذا المنهج العلمي الدَّقِيق، يمكن تحقيق دراسة شاملة وعميقة لموضوع أسباب النُّزول وأثرها في معنى الآية في جزء عمّ، مع ضمان ربط النُّصوص القرآنيَّة بالسِّياق التَّاريخيَّ الَّذي نزلت فيه، ممَّا يُعزِّز من فهم القرآن الكريم وتوضيح معانيه بشكلٍ صحيح.

## حدود البحث

تقتصر الدِّراسة الحاليَّة على تفسير الآيات القرآنيَّة الَّتِي نزلت في مكة المكرمة والمدينة المنورة -أي فترة ما قبل الهجرة النَّبويَّة وبعدها- والَّتِي هي محتوى مادة جزء عمّ. كما تقتصر على تناول السُّور والآيات القرآنيَّة الَّتِي توجد في جزء عمّ وهي سورة قصيرة من حيث عدد آياتها ومعظمها مكِّيَّة. كما تقتصر على تسليط الضَّوء على أسباب النُّزول وأثرها في المعنى في السُّور القرآنيَّة الواردة بجزء عمّ. وعليه، سيتم تحليل الحوادث أو الظُّروف الَّتِي كانت وراء نزول هذه الآيات وتأثيرها على فهم المعاني الدَّقِيقَة.

## الدِّراسات السَّابِقة

من الدراسات التي توصلنا إليها والمتعلقة بالموضوع:

1- السَّيد، أمورة السَّيد إبراهيم، قرينة السَّيِّاق وأثرها في تقوية سبب النُّزول أو تضعيفه، مجلة كلية الدراسات للنبات المنصورة: 1/24، جامعة الأزهر 2022م.

تناول البحث المحاور الآتية: تعريف السَّيِّاق القرآنيّ، والفرق بينه، وبين النُّظْم، وأركانه، وأنواعه (أقسامه)، وسماته، أهميَّة دلالة السَّيِّاق القرآنيّ في التفسير، أسباب الاعتماد على دلالة السَّيِّاق القرآنيّ، تعريف سبب النُّزول، وصيغته، أثر دلالة السَّيِّاق في تضعيف سبب النُّزول أو تقويته، وترجيحه على غيره، وختم البحث بالتوصية بضرورة دراسة السَّيِّاق القرآنيّ دراسة عميقة، وربطه بمباحث علوم القرآن الأخرى كأسباب النُّزول، وقواعد التَّرجيح، والقراءات، والإسرائيليات، وغيرها.

2- أبو عمر، عدنان بن محمَّد، أسباب النُّزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم: دراسة نظريَّة تطبيقية، مجلة الإحياء، ع20، جامعة باتنة 1 - كُليَّة العلوم الإسلاميَّة، الجزائر، 2017م.

إنَّ سبب النُّزول هو قصَّة تستند إلى واقع معيَّن وتعرض أحداثاً وحبكة وأشخاصاً، ممَّا يجعلها مثيرة للاهتمام وتساعد على فهم النَّصِّ القرآنيّ. ويقدم المفسِّرون أسباب النُّزول في بداية دراستهم للنَّصِّ القرآنيّ بعد تحديد علاقته بالتَّصوُّص السَّابِقة والآلحة. وينقسم القرآن إلى قسمين: الأوَّل هو ما أنزله الله من غير ارتباط بحدِّث خاص، بهدف هداية النَّاس، والثَّاني هو ما له سبب خاص مرتبط بحدِّث أو سؤال (أسباب النُّزول). علم أسباب النُّزول هو علم مستقلّ له نظريته وتطبيقاته الخاصَّة، ويتكامل مع العلوم الأخرى لخدمة القرآن. لم يكن تعريف أسباب النُّزول محدِّداً بدقَّة حتَّى جاء الإمام السيوطي، الَّذي عرّفه بأنّه: "ما نزلت الآية أيَّام وقوعه". وبما أنَّ أسباب النُّزول تعتمد على النَّصوص الحديثية، فإنَّها تخضع لقواعد علم مصطلح الحديث لتحديد صحَّتها. لسبب النزول فوائد كبيرة في فهم معاني الآيات، حيث تساعد على توضيح معاني قد تكون غامضة أو يصعب فهمها دون معرفة السبب الذي نزلت من أجله. وهذه النِّقاط السَّابِقة قد تطرَّق إليها الباحث لها ببحثه هذا بالبيان والتفصيل المرسوم بخطة البحث.

3- طاهر، حنان محمد عثمان، أسباب النُّزول بين المفسِّرين والمحدثين: دراسة مقارنة بين الإمامين الواحدي في كتابه (أسباب النُّزول) والحافظ ابن حجر في كتابه (العجاب في بيان الأسباب)، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، 2015م.

يتناول البحث أهم القضايا التي يتطرَّق إليها علم أسباب النُّزول، كما يناقش أثر تلك الرِّوايات بين المفسِّرين والمحدثين بصفة عامَّة وبين الإمامين الواحدي وابن حجر بصفة خاصَّة. ونظم البحث في مقدِّمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. فالتمهيد: في معنى سبب النُّزول في اللُّغة والاصطلاح. أمَّا الفصل الأوَّل اشتمل على ثلاثة مباحث: الأوَّل: في ترجمة الإمام الواحدي والثَّاني: ترجمة الحافظ ابن حجر، والثَّالث: تعدُّد الألفاظ التي يعبر بها عن سبب النُّزول وأثر ذلك بين المفسِّرين والمحدثين. أمَّا الفصل الثَّاني فهو: يتناول بالبحث والتَّفتيح أهم الإشكالات في أسباب النُّزول وأثر ذلك بين المفسِّرين والمحدثين. وأمَّا الفصل الثَّالث تقدِّم الباحثة أبرز الفوائد التي تجنى من علم أسباب النُّزول وأثرها بين المفسِّرين والمحدثين.

## فجوة البحث

لا نجد تشابهاً بين الدراسات هذه وبين موضوعنا الَّذي نحن بصدد دراسته، والموسوم بـ: "أسباب النُّزول وأثرها في معنى الآية: دراسة تحليلية في جزء عم" إلا في جانب معيَّن من الجوانب النَّظريَّة، وهو جانب التَّعريف بأسباب النُّزول

في اللغة والاصطلاح، إلا أنني راعيت عدم التشابه في نقل أقوال أهل العلم في مفهوم النزول، وبيان أثره فيما جاء في هذه الدراسات السابقة. ولا شك أن الدراسات السابقة قد أسهمت بشكل كبير في كشف العلاقة بين أسباب النزول وتفسير الآيات القرآنية. لكن، من المفيد الاستمرار في تعزيز هذه الدراسات من خلال التقيب في المصادر المتنوعة وتطبيق منهجيات تحليلية جديدة لتوسيع أفق الفهم القرآني في العصر الحالي.

### صعوبات البحث

يواجه هذا البحث عدة صعوبات، من أبرزها ندرة الروايات الصريحة التي تحدد أسباب نزول بعض الآيات، مما يجعل عملية التحقق من صحة هذه الروايات والتأكد من دقتها أمرًا بالغ الأهمية. كما أن اختلاف أقوال المفسرين حول بعض أسباب النزول قد يطرح تحديات منهجية في التمييز بين الروايات الصحيحة والضعيفة، مما يستلزم اعتماد منهج نقدي دقيق. بالإضافة إلى ذلك، فإن ربط أسباب النزول بالسياقات التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بها يتطلب مراجعة مكثفة للمصادر التفسيرية والحديثية، وهو ما يستلزم جهدًا بحثيًا مكثفًا للوصول إلى تحليل موضوعي ومنهجي متكامل.

### أهم المصادر والمراجع

استندنا في بحثنا هذا إلى العديد من المصادر منها أمهات الكتب والتراث الإسلامي ومنها المصادر الحديثة وسنركز هنا أهم المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعنا وموضوع أسباب النزول خاصة.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو بكر البقاعي.

محاسن التأويل، محمد م الحلاق القاسمي.

التحرير والتأويل محمد بن عاشور.

تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان.

التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم ابن جزري.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين الشيرازي.

أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، عبد الله محمود شحاته.

### هيكل البحث

وتشتمل على مقممة، وفصلين، وخاتمة مضمّن بها أبرز النتائج والتوصيات، وفهارس فنيّة كما يلي:

المقدمة

مدخل

الفصل الأول: مُصطلحات الدراسة

المبحث الأول: التعريف بأسباب النزول

المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الفرق بين أسباب النزول المباشرة والأسباب الظرفية (التأويلية)

المطلب الثالث: مواقف الصحابة والتابعين في ذكر أسباب النزول

المبحث الثاني: أسباب النزول وأثرها في التأويل والتفسير القرآن

المطلب الأول: أسباب النزول وأثرها في التأويل والتفسير القرآن

المطلب الثاني: التأثير المباشر لأسباب النزول على تفسير المعاني

المطلب الثالث: تقنيات وأدوات البحث في أسباب النزول

الفرع الأول: لأدوات التي يستخدمها المفسرون لتحديد أسباب النزول

الفرع الثاني: التحديات والصعوبات في تحديد أسباب النزول بشكلٍ دقيق

الفصل الثاني: أسباب النزول في جزء عم

المبحث الأول: دراسة أسباب النزول في سورة النبأ

المبحث الثاني: دراسة أسباب النزول في سورة النازعات

المبحث الثالث: دراسة أسباب النزول في سورة عبس

المبحث الرابع: دراسة أسباب النزول في سورة التكويد

المبحث الخامس: دراسة أسباب النزول في سورة الانفطار

المبحث السادس: دراسة أسباب النزول في سورة المطففين

المبحث السابع: دراسة أسباب النزول في سورة الطارق

المبحث الثامن: دراسة أسباب النزول في سورة الأعلى

المبحث التاسع: دراسة أسباب النزول في سورة الغاشية

المبحث العاشر: دراسة أسباب النزول في سورة الفجر

المبحث الحادي عشر: دراسة أسباب النزول في سورة الليل

المبحث الثاني عشر: دراسة أسباب النزول في سورة الضحى

- المبحث الثالث عشر: دراسة أسباب النُّزول في سورة العلق
- المبحث الرابع عشر: دراسة أسباب النُّزول في سورة القدر
- المبحث الخامس عشر: دراسة أسباب النُّزول في سورة الزلزلة
- المبحث السادس عشر: دراسة أسباب النُّزول في سورة العاديات
- المبحث السابع عشر: دراسة أسباب النُّزول في سورة التكاثر
- المبحث الثامن عشر: دراسة أسباب النُّزول في سورة الفيل
- المبحث العشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة الماعون
- المبحث الحادي والعشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة الكوثر
- المبحث الثاني والعشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة الكافرون
- المبحث الثالث والعشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة النصر
- المبحث الرابع والعشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة المسد
- المبحث الخامس والعشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة الإخلاق
- المبحث السادس والعشرون: دراسة أسباب النُّزول في سورة المعوذتان

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## أسباب النزول وأثرها في تفسير معاني الآيات القرآنية ضمن جزء عمّ

### مدخل

يُعدّ علم أسباب النزول أحد الركائز الأساسية في تفسير القرآن الكريم، حيث يسهم في الكشف عن السياقات التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بنزول الآيات، مما يساعد على فهمها بشكل أكثر دقة ووضوحًا. فالآيات القرآنية لم تنزل بمعزل عن الواقع، بل جاءت لمعالجة قضايا معينة أو للردّ على استفسارات محددة أو لتقديم توجيهات شرعية تتناسب مع الظروف التي واجهها المسلمون في مراحل مختلفة من الدعوة الإسلامية. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أسباب النزول وأثرها في تفسير معاني الآيات، مع التركيز على جزء عمّ الذي يضم مجموعة من السور القصار ذات المضامين العقديّة والتشريعية المهمة

تتسم سور جزء عمّ بخصائص لغوية ومعنوية متميزة، حيث تتميز بإيجازها الشديد وبلاغتها العالية وتركيزها على قضايا العقيدة والإيمان واليوم الآخر. ونظرًا لأن هذه السور نزلت في بيئة مكّية كانت تعجّ بالتحديات الفكرية والعقدية، فإن دراسة أسباب نزولها يساعد على فهم الخطاب القرآني في سياقه الزمني والمكاني، مما يعزز من دقة التفسير وبيّح للقارئ فهمًا أكثر شمولية للرسائل الإلهية. ويلاحظ أن أسباب النزول لا تقتصر على السرد التاريخي فحسب، بل تؤدي دورًا محوريًا في تحديد الدلالات اللغوية للنصوص القرآنية، حيث يُمكن أن يكون لتحديد المناسبة التي نزلت فيها الآية تأثير كبير في توضيح معناها وإزالة أي إشكالات تفسيرية قد تنشأ عن قراءتها بمعزل عن سياقها

وبناءً على ذلك، يسعى هذا البحث إلى تقديم تحليل معمّق لأسباب النزول ومدى تأثيرها في تفسير القرآن الكريم، من خلال دراسة منهجية تعتمد على استقراء الروايات التفسيرية وتحليلها من منظور لغوي وتاريخي وفقهي، بالإضافة إلى مقارنة أقوال المفسرين في مختلف العصور حول بعض أسباب النزول ومدى تأثير هذه الروايات في تشكيل الفهم التفسيري للآيات. كما يناقش البحث الصعوبات التي قد تواجه عملية تحديد أسباب النزول، مثل ندرة الروايات الصحيحة أو اختلاف أقوال العلماء حول بعض الأسباب، الأمر الذي يستلزم تطبيق منهجية نقدية دقيقة في التعامل مع هذه النصوص

ومن خلال هذا البحث، سيتم التركيز على إبراز العلاقة بين السياق التاريخي للنزول والسياق النصي للآيات، حيث يمكن أن يؤدي فهم الظروف المحيطة بنزول الآية إلى توضيح مراميها وتوجيه التفسير نحو قراءة أكثر شمولية ومنهجية. كما سيتم تسليط الضوء على مواقف الصحابة والتابعين في تدوين أسباب النزول، وكيف أثرت هذه الروايات في تشكيل علم التفسير عبر العصور المختلفة. وبذلك، يسعى البحث إلى الإسهام في تعزيز الدراسات التفسيرية من خلال تقديم رؤية متكاملة حول أهمية أسباب النزول ودورها الجوهرية في فهم القرآن الكريم.

## الفصل الأوّل

### 1. مُصطلحات الدّراسة

يهدف هذا الفصل إلى تقديم تعريف شامل لأسباب النزول، باعتبارها أحد المباحث الأساسية في تفسير القرآن الكريم. فهو يستعرض مفهوم أسباب النزول من الناحية اللغوية والاصطلاحية، مع إبراز الفروقات بين الأسباب المباشرة التي ترتبط بحادثة أو موقف معين، والأسباب الظرفية (التأويلية) التي تستند إلى سياقات عامة دون أن تكون مرتبطة بسبب محدد للنزول. كما يتناول الفصل مواقف الصحابة والتابعين في نقل أسباب النزول، ومدى تأثير هذه الروايات في التفسير، مما يساعد على فهم المنهج الذي اعتمده المفسرون في تحديد دلالات الآيات القرآنية وربطها بواقعها التاريخي والاجتماعي.

## المبحث الأوّل

### 1.1. الدّefined بأسباب النُّزول

تناول هذا المبحث مفهوم أسباب النزول من حيث اللغة والاصطلاح، حيث يتم توضيح معناها اللغوي وأهميتها في تفسير النصوص القرآنية وفقاً للتعريفات التي قدمها علماء التفسير. كما يسلط الضوء على الفرق بين أسباب النزول المباشرة، التي ترتبط بحوادث أو أسئلة محددة نزلت الآيات لمعالجتها، والأسباب الظرفية أو التأويلية، التي تعتمد على سياقات أوسع دون أن تكون هناك حادثة معينة وراء نزولها. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض الفصل مواقف الصحابة والتابعين في تدوين أسباب النزول ونقلها، مع بيان مدى تأثير هذه الروايات في تحديد المعاني الصحيحة للآيات وتوجيه الفهم التفسيري في مختلف العصور.

## المطلب الأوّل

### 1.1.1. مفهوم أسباب النُّزول في اللُّغة والاصطلاح

يعتبر تعريف "أسباب النُّزول" في اللُّغة والاصطلاح أمراً أساسياً لفهم القرآن الكريم وتفسير آياته على نحوٍ دقيق وواقعي. وعليه، يمكن بيانه على النحو الآتي:

#### مفهوم "أسباب النُّزول" في اللُّغة

- السَّبب في اللُّغة: الحبل الذي يُستخدم للوصل والارتباط، كما يُقال: "بيني وبين فلان سبب"، أي رابط أو وسيلة اتصال. أما "سبب الفرس"، فهو الشعر الذي يكسو ذنبه وناصيته (1).

- النُّزول في اللُّغة: يُقصد به الهبوط أو الانحدار من مكان مرتفع إلى مكان منخفض (2).

لذلك، إذا جمعنا الكلمتين معاً، يكون "سبب النُّزول" في اللُّغة: العوامل أو الأسباب التي أدت إلى نزول شيء من مكانٍ مرتفع إلى مكانٍ منخفض.

(1) أبو بكر الأزدي (321هـ)، جُمهرة اللُّغة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1987م، ج2/ص1000.

(2) أيوب الكفوي، أبو البقاء، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، دط، ص962.

## مفهوم "أسباب النزول" في الاصطلاح:

السبب هو ما يُتوصَّل به إلى تحقيق المقصود، أو ما يكون عاملاً مؤثراً في وجود الشيء. وفي الشريعة، يُعرَّف بأنه الطريق الذي يؤدي إلى الحكم دون أن يكون مؤثراً في ذاته. وينقسم السبب إلى نوعين: السبب المحض، والسبب الذي يجمع بين كونه سبباً من جهة ومُسبباً من جهة أخرى. فالسبب المحض هو ما يؤدي إلى وجود الشيء دون أن يكون ذلك الشيء علة غائية له، مثل ملك الرقبة الذي يُعد سبباً محضاً لملك المتعة دون أن تكون ملكية المتعة غاية لامتلاك الرقبة. ولو كانت كذلك، لارتبطت بها ارتباطاً لا ينفك. وهذا يختلف عن وجود ملكية الرقبة في العبد أو الأخت من الرضاع دون ملك المتعة. أما السبب غير المحض، فهو الذي يؤدي إلى نتيجة معينة لكنه في ذات الوقت يُعد نتيجة لعلّة أخرى، كوجود السرير الذي يُعد سبباً للجلوس، لكنه ليس سبباً محضاً لأنه أيضاً مسبب للجلوس الذي يُعتبر علة غائية له، مما يجعله سبباً من جهة ومُسبباً من جهة أخرى. (1).

فنعرف "أسباب النزول" بأنّها: الأسباب أو الحوادث أو الأحداث التي أدت إلى نزول آيات معينة من القرآن الكريم. وهي تشير إلى الظروف أو المواقف التي حدثت خلال حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبسببها نزلت آيات معينة للإجابة على سؤالٍ أو لتفسير حادثة ما، أو بيان حكم شرعي (2).

ومثاله عندما نزلت الآيات العشر الأولى من سورة عبس، كانت هذه الآيات ناتجة عن حادثة وقعت عندما جاء الصحابي بن أمّ مكتوم، وكان لا يبصر، إلى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وسأله وكان النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مشغولاً في دعوة بعض قادة قريش، فعبس في وجهه وأعرض عنه. فنزلت هذه الآيات مؤنباً النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام على هذا التصرف، مشيراً إلى أنّ القيم البشرية مثل الإصغاء إلى الفقراء والمحتاجين لا تقل أهميّة عن الدّعوة لأصحاب السُّلطة (3).

فكان أثر سبب النزول في معنى الآية يُستخلص منه ما يأتي:

- الآية تظهر أنه سبحانه يوجّه النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام لتوجيه اهتمامه إلى الكل على السواء، لا فرق بين الفقراء أو الأغنياء.

- توضّح الآية ضرورة أن يكون النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكثر رحمة وتفهماً للفئات الضعيفة والمستضعفة في المجتمع، مثل الأعمى.

- تبرز قيمة التّزكية والتّذكير بالأمور الإيمانيّة كوسيلة للنّجاة والتّطهير النّفسيّ.

(1) عبد النَّبِيِّ نكري، جامع العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، (2000م)، ج2/ص117 - 118.  
(2) ينظر: محمّد الحفناوي، دراسات أصوليّة في القرآن الكريم، مطبعة الإشعاع الفني، مصر، د. ط، 2002م، ص: 133.  
(3) ابن وهب القرشي، تفسير القرآن، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م، ج1/ص110.

إذا لا خلاف بين مفهوم "أسباب النزول" في اللغة والاصطلاح فكلاهما يتفق على أنه الأحداث أو المواقف التي أدت إلى نزول آية قرآنية معينة، تتعلق هذه الأسباب بالطُروف التي واجهها النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في حياتهم اليومية، والتي كانت سبباً في نزول بعض الآيات للردّ على تساؤلاتٍ أو توجيه حكم شرعيّ.

## المطلب الثاني

### 2.1.1. الفرق بين أسباب النزول المباشرة والأسباب الظرفية (التأويلية)

يعتبر جزء عمّ من أكثر أجزاء القرآن الكريم شهرة وتداولاً بين المسلمين، وهو يحتوي على العديد من السور القصيرة التي تتناول موضوعات دينية متنوّعة، من العقيدة والأخلاق إلى التشريعات والآداب. كما أنّ أسباب النزول تلعب دوراً مهماً في فهم معاني الآيات في هذا الجزء، حيث يمكن تصنيف أسباب النزول إلى نوعين: المباشرة والظرفية (التأويلية).

#### 1.2.1.1. أسباب النزول المباشرة في جزء عمّ:

أسباب النزول المباشرة تتعلق بحوادثٍ أو مواقفٍ واقعية حدثت في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان لها تأثير مباشر في نزول الآيات. هذه الأسباب هي الأكثر وضوحاً وارتباطاً بالواقع، وقد نزلت الآيات ردّاً على سؤالٍ أو استجابةً لحدثٍ محدد في حياة الصحابة أو النبي -صلى الله عليه وسلم-<sup>(1)</sup>. ومن أمثلتها في جزء عمّ:

- قول تعالى: في آيات سورة [عبس: 1 - 10]، والتي سبق بيانها في المطلب الأول من هذا المبحث.

- قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ} [النبا: 1 - 3]، حصل الخلاف عند أهل التفسير في المقصود بالنبي العظيم، فقيل: أريد به القرآن، وقيل: يوم القيامة<sup>(2)</sup> فقد كان المشركون يُشكّون في حدوث البعث والحساب، فكانت الآية ردّاً مباشراً على هذه الشكوك.

#### 2.2.1.1. أسباب النزول الظرفية (التأويلية) في جزء عمّ

أمّا أسباب النزول الظرفية (التأويلية)، فهي تلك التي لا ترتبط بحادثة معينة أو حدثٍ واقعيّ بل تتعلق بظروف اجتماعية أو فكرية عامّة كانت موجودة في المجتمع أو الأمة الإسلامية. هذه الأسباب تعتبر تفسيراً تأويلياً أو ظرفياً لحالة معينة، وقد نزلت الآيات لتوجيه المسلمين حول قضية أوسع وأكثر شمولاً<sup>(3)</sup>. ومن أمثلتها في جزء عمّ:

- الآيات من 1 إلى 3 من سورة الزلزلة، الأيتان تتعلقان بالزلزلة الكبرى التي تحدث في يوم القيامة. وهي ظرفية في طبيعتها، وتتناول الحدث العام الذي سيحدث يوم القيامة عند رجّ الأرض وحساب الخلائق. ولم تنزل هذه الآية ردّاً على حدثٍ معين في حياة الصحابة، ولكنها تحدّثت عن المصير النهائي للبشر في يوم القيامة<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: محمد الرزقاني، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، د.ت، ج1/ ص114 - 115.

(2) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، ج24/ ص149.

(3) ينظر: الرزقاني، مناهل العرفان، مرجع سابق، ج1/ ص115.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، دط، ج24/ ص149.

- الآيات الأولى من سورة التكاثر، آيتان تتعلقان بمفهوم التّفَاخِر بالمكانة الاجتماعيّة، المال، والأنساب، وهو سياق اجتماعيّ عام كان سائدًا في المجتمع المكيّ. وقد نزلت هذه الآية لتسليط الضّوء على كيف أنّ الانشغال بهذه الأمور التّفاهة قد يلهي الإنسان عن التّفكير في الآخرة. ولكنّ الآية لا ترتبط بحادثةٍ معيَّنة، بل تعكس ظروفًا اجتماعيّةً شائعة بين النّاس في ذلك الوقت<sup>(1)</sup>.

### 3.1.1.1. الفرق بين أسباب النّزول المباشرة والطّرفيّة في جزء عمّ

العنصر	أسباب النّزول المباشرة	أسباب النّزول الطّرفيّة (التّأويليّة)
الارتباط بالحدث	مرتبطة بحادثةٍ أو سؤالٍ واقعيّ حدث في زمن النّبّي -صلّى الله عليه وسلّم-.	تتعلّق بظروفٍ أو قضايا اجتماعيّةٍ أو فكريّةٍ عامّة.
الوضوح	تتعلّق بحالةٍ واضحةٍ وسهلة التّحديد.	قد تكون غير مرتبطةٍ بحدثٍ معيّن، لكنّها تُعبّر عن مفاهيمٍ عامّة.
التّفسير	تفسير مباشر لحدثٍ أو موقفٍ واقع.	تفسير تأويليّ أو عام لظرفٍ اجتماعيّ أو فكريّ.
الهدف	توجيه النّبّي -صلّى الله عليه وسلّم- أو الصّحابة بشأن أمر معيّن حدث بالفعل.	تقديم توجيه عام للمسلمين حول قضيةٍ شائعةٍ أو فكريّة.
المحتوى	يتعامل مع حدث محدّد وقع في حياة النّبّي -صلّى الله عليه وسلّم- أو الصّحابة.	يتعامل مع مفهوم عام مثل التّفَاخِر أو الأخلاق أو الآخرة.

يُنصَح من خلال ما سبق، أنّ الفارق بين أسباب النّزول المباشرة والطّرفيّة (التّأويليّة) في جزء عمّ يتجلّى في أنّ الأسباب المباشرة تتعلّق بحوادثٍ أو مواقفٍ واقعيّةٍ في زمن النّبّي -صلّى الله عليه وسلّم-، بينما الأسباب الطّرفيّة تتعلّق بتوجيهاتٍ عامّة

(1) ينظر: أبو الحسن مقاتل، تفسير مقاتل، دار إحياء الثّراث، لبنان، ط1، 1423هـ، ج4/ص819.

للناس في مسائل اجتماعية أو فكرية. وكلا النوعين من الأسباب يساعد في فهم النصوص القرآنية وتفسيرها، ويكملان بعضهما البعض في إضاءة المقاصد القرآنية بشكل أعمق.

### المطلب الثالث

#### 3.1.1.3. مواقف الصحابة والتابعين في ذكر أسباب النزول

جزء عم هو جزء من القرآن الكريم الذي يحتوي على العديد من السور القصيرة التي تحمل معاني عظيمة وموضوعات متنوعة تتعلق بالتوحيد، والآخرة، والأخلاق، والتشريعات. وقد كان الصحابة والتابعون حريصين على فهم آيات هذا الجزء بشكل دقيق، وهو ما دفعهم للبحث في أسباب النزول المتعلقة بالآيات الواردة فيه. فمعرفة السبب وراء نزول الآية كانت تُعدُّ وسيلة لفهم المعنى المقصود والهدف من النزول.

#### 1.3.1.1.1. مواقف الصحابة في ذكر أسباب النزول في جزء عم

كان الصحابة هم أول من شهدوا نزول القرآن، ولذلك كانوا الأكثر معرفة بمواقف وآيات النزول. كما كانوا يسعون دائماً لمعرفة السبب الذي أوجب نزول أي آية، وهذا ساعدهم في تفسير القرآن بشكل أدق. ومن أمثلة مواقف الصحابة في ذكر أسباب النزول ما يأتي:

عبد الله بن عباس: يعتبر من أبرز الصحابة الذين اهتموا بعلم أسباب النزول. وقد اشتهر بلقب "ترجمان القرآن" لما له من معرفة واسعة في تفسير القرآن وفهم آياته. وكان يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن سبب نزول الآيات ليفهمها بشكل أعمق، ففي تفسيره للآيات الأولى من سورة النبأ ورد عنه أنه كان يذكر سبب نزول الآية، حيث كان الكفار يتساءلون عن القيامة والبعث<sup>(1)</sup>، وكان هذا سؤالاً عاماً منهم يستدعي جواباً من القرآن.

#### 2.3.1.1.1. مواقف التابعين في ذكر أسباب النزول في جزء عم

كان التابعون، الذين جاؤوا بعد الصحابة، يستمرون في البحث عن أسباب النزول لفهم القرآن بشكل أعمق. وقد تعلموا هذا العلم من صحابته صلى الله عليه وسلم، وكانوا يسألونهم عن أسباب نزول الآيات. ومن أمثلة مواقف التابعين في ذكر أسباب النزول في جزء عم:

سعيد بن جبيرة: يُعدُّ من التابعين البارزين الذين نقلوا أسباب النزول عن الصحابة، وخاصة عن ابن عباس. فقد كان مجاهد يروي العديد من الأسباب التي تُفسر نزول بعض الآيات. فعلى سبيل المثال، ذكر مجاهد في تفسيره للآية الأولى من سورة النصر أنها نزلت بعد الفتح أي فتح مكة المكرمة، حيث كان المسلمون قد انتصروا على قريش، وهذه الآية كانت تبشيراً بفتح مكة ونصر الله<sup>(2)</sup>.

(1) ينظر: أحمد النعلبي، الكشف والبيان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 2002م، ج8/ص215.  
(2) ينظر: مجاهد بن جبر القرشي، تفسير مجاهد، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1989م، ص: 758.

وانطلاقاً ممّا سبق، يمكن القول: إنّ مواقف الصّحابة والتّابعين في ذكر أسباب النّزول في جزء عمّ تُظهر مدى حرصهم على فهم القرآن بشكلٍ دقيقٍ وواقعيّ، بما يتوافق مع الأحداث التي نزلت فيها الآيات. فقد كانت أسباب النّزول جزءاً مهمّاً في تفسير القرآن وفهم معانيه، كما ساعدت الصّحابة والتّابعين في تطبيق الأحكام الشرّعية التي وردت فيه، ممّا أسهم في توضيح المعاني وتفسير الآيات بشكلٍ دقيقٍ يتناسب مع الطّروف المحيطة في زمان نزولها.

## المبحث الثّاني

### 1.2. أسباب النّزول وأثرها في التّأويل والتفسير القرآن

إنّ معرفة أسباب النّزول في جزء عمّ كانت أساسيةً لفهم مقاصد الآيات بشكلٍ دقيقٍ، ولهذا السّبب كان الصّحابة والتّابعون يهتمون بهذا الموضوع. ففي هذا الجزء من القرآن، نجد العديد من السّور التي تحتوي على أحكامٍ شرّعيةٍ، وتوجيهاتٍ أخلاقيّةٍ، ومواعظٍ دينيّةٍ. فمعرفة سبب نزول الآية يساعد فيما يأتي:

- تفسير المعاني: فهم المعنى المقصود للآية، والتّأكد من فهمها في سياقها الصّحيح.

- تطبيق الأحكام: معرفة الطّروف التي نزلت فيها الآية يمكن أن يساعد في تطبيق الأحكام التي وردت فيها، خاصّةً إذا كانت مرتبطة بحادثةٍ معيّنة في حياة الصّحابة.

- إزالة اللبس: بعض الآيات قد تكون غامضةً إذا قرئت بمعزلٍ عن سبب نزولها، لذلك معرفة السّبب تزيل أي لبس قد يحصل في فهم معناها.

- تحديد التّطبيق الزّمني والمكاني: معرفة سبب نزول الآية يساعد في تحديد إذا كانت الآية خاصّةً بوقتٍ أو مكانٍ معيّن أمّ أنّها عامّة لجميع الأزمنة والأماكن.

## المطلب الأوّل

### 1.1.2. أسباب النّزول وأثرها في التّأويل والتفسير القرآن

جزء عمّ هو الجزء الأخير من القرآن الكريم، ويحتوي على العديد من السّور القصيرة التي تناولت موضوعاتٍ مختلفة تتعلّق بالعقيدة، والآخرة، والأخلاق، والتّوجيهات الاجتماعية. ومع ذلك، كثير من الآيات في هذا الجزء يمكن أن يكون لها معاني متعدّدة إذا قرئت بمعزلٍ عن سبب نزولها. لذا فإنّ أسباب النّزول تلعب دوراً حيويّاً في توضيح وتبيين معنى الآيات، وتعزيز فهمها في السّياق الذي نزلت فيه. وفي هذا الإطار، نتناول دور أسباب النّزول في إيضاح معاني الآيات وتفسيرها بشكلٍ صحيحٍ في جزء عمّ:

#### 2.1.1.2. توضيح السّياق الدّارخي

يعدّ معرفة سبب نزول الآية من أهم الوسائل لفهم سياق النّزول، ومن ثمّ تفسير المعنى المقصود. وجزء عمّ يحتوي على العديد من السّور التي نزلت في ظروف اجتماعية وأحداث تاريخية خاصّة، مثل: الجهاد، والصّراع مع قريش، والمواقف

الاجتماعية بين المسلمين والمشركين. وعليه، يساعد سبب النزول في فهم كيف كانت الآية تفاعلاً مع واقع الحياة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ومن أمثلته ما يأتي:

الآيات من 1 إلى 10 من سورة عبس، وقد سبق بيانها في المطلب الأول من المبحث الأول<sup>(1)</sup>. وما يفيد هنا أن سبب النزول يوضح لماذا نزلت الآية في هذا السياق، ويكشف عن الدروس التي يجب أن يتعلمها المسلمون، مثل ضرورة الاهتمام بالضغفاء والتواضع.

الآيات من 1 إلى 3 من سورة النبأ، وقد سبق بيانها في المطلب الثاني من المبحث الأول<sup>(2)</sup>. وما يفيد هنا أن سبب النزول يساعد في تحديد المعنى، حيث كان تسأولهم عن القيامة والكفر بالبعث، وبالتالي نزول الآية جاء ليخبرهم باليقين في وقوع الآخرة.

تحديد مراد الآية: أحياناً تكون الآية مفتوحة لتفسيرات مختلفة حسب السياق، ولكن سبب النزول يعمل على تحديد المقصود الحقيقي من الآية. فجزء عمّ يحتوي على العديد من الآيات التي قد تُفهم بشكل خاطئ إذا قرئت بمعزل عن السياق الذي نزلت فيه. ومن أمثلته ما يأتي:

الآيات الستة من سورة الكافرون: هذه السورة قد أنزلت في السياق الذي كان يواجه فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- ضغوطاً من قريش للمساومة معهم على عبادة الأصنام مقابل بعض المكاسب. وسبب النزول يوضح الوضع الخاص الذي نزلت فيه السورة، وهي ترفض أي نوع من المساومة في العبادة، وتؤكد على البراءة من الشرك<sup>(3)</sup>.

الآيات من 1 إلى 5 من سورة العلق، عندما نزلت أولى آيات الوحي في غار حراء، كان عليه الصلاة والسلام في حالة من العزلة والتأمل. وسبب النزول هنا يساعد في توضيح سياق أول نزول للقرآن، ويظهر أن الآية جاءت لتشجيع النبي -صلى الله عليه وسلم- على القراءة والتعلم من خلال أمر إلهي، لتكون بداية لدعوته المستمرة<sup>(4)</sup>.

### 3.1.1.2. التفریق بين الخاص والعام

من خلال أسباب النزول، يُمكن التفریق بين الآيات الخاصة بحدثٍ معيّن والآيات العامة التي يمكن أن تكون توجيهًا دائمًا. فبعض الآيات قد تكون نزلت ردّاً على حادثةٍ معيّنة أو موقفٍ معيّن في حياته عليه الصلاة والسلام وصحبه، بينما تكون الآيات الأخرى شاملة لزمانٍ ومكانٍ. ومن أمثلته ما يأتي:

(1) ابن وهب، تفسير القرآن من الجامع، ج 1/ ص 110.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 24/ ص 149.

(3) ينظر: الإمام الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، مصر، د. ط، 1997م، (10/ 6247).

(4) ينظر: الثوري، أبو عبد الله سفيان، تفسير الثوري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1983م، ج 1/ ص 3.

الآيات من 1 إلى 2 من سورة الزلزلة، هاتان الآيتان تتحدثان عن الزلزال الكبير في يوم القيامة<sup>(1)</sup>. وسبب النزول هنا قد لا يكون مرتبطاً بحادثة معينة، بل هي آية تأويلية تتعلق بمفهوم عام عن يوم القيامة، لكنها أصبحت في القرآن لتبیین الواقع الأخير الذي سيحدث للبشر.

سورة الضحى، أنزلت هذه السورة في سياق مشكلة خاصة كان يواجهها النبي -صلى الله عليه وسلم-، عندما تأخر الوحي لفترة قصيرة فظنَّ البعض أنَّ الله قد قاطع. وسبب النزول هنا يوضح أنَّ الآية كانت بمثابة طمأنة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وتأکید على أنَّ الله لم يتركه، بل يُرسِّخ الطمأنينة في قلبه، وكذلك تكشف عن معاني الرَّحمة الإلهية<sup>(2)</sup>.

وعليه، يمكن القول: إنَّ أسباب النزول تلعب دوراً أساسياً في توضيح معاني الآيات في جزء عمّ، فهي تساعد في تحديد السياق التاريخي الذي نزلت فيه الآيات، ممَّا يُعزِّز الفهم العميق للرسالة القرآنية. فمعرفة السبب الذي نزلت فيه الآية يسهم في تحديد المراد الحقيقي من الآية، وتحديد ما إذا كانت الآية خاصة بحادثة معينة أو عامة في أحكامها.

## المطلب الثاني

### 2.2.2. التأثير المباشر لأسباب النزول على تفسير المعاني

جزء عمّ هو جزء من القرآن الكريم يحتوي على العديد من السور القصيرة التي تناولت موضوعات مختلفة تتعلق بالعقيدة، والآخرة، والأخلاق، والتشريعات. ونظراً لاختصار الآيات وبلاغتها، قد تكون بعض معانيها غامضة إذا قرئت في سياق عام دون معرفة السبب الذي نزلت من أجله. ولذلك، فإنَّ أسباب النزول تلعب دوراً مباشراً في تفسير المعاني في هذا الجزء من القرآن الكريم.

ولمَّا كانت أسباب النزول هي الأحداث أو المواقف في حياته عليه الصلاة والسلام، والتي أدت إلى نزول آية معينة. فمن خلال هذه الأسباب، يصبح من الممكن فهم السياق التاريخي الذي نزلت فيه الآية، ومن ثمَّ الوصول إلى المعنى المقصود بدقة أكبر.

### 1.2.1.1. توضيح المعنى في ضوء الأحداث التاريخية

يُعدُّ معرفة سبب نزول الآية خطوة أساسية لفهم السياق الذي نزلت فيه، ممَّا يسهم في توضيح المعنى وتفسيره بشكلٍ دقيق. فإذا كانت الآية قد نزلت ردًّا على حدثٍ معيَّن أو سؤالٍ، فإنَّ معرفتنا بالسبب يساعد في تفسير الغرض من نزول الآية، وبالتالي فهم المعنى بشكلٍ صحيح. ومن أمثلة التأثير المباشر لأسباب النزول ما يأتي:

سورة عبس من الآية 1 إلى الآية 10، فقد نزلت هذه الآيات عندما عبس النبي عليه الصلاة والسلام في وجه الصحابي ابن أم مكتوم الأعمى عندما جاء يسأله عن بعض الأمور الدينية، وكان النبي مشغولاً بالدعوة إلى كبار قريش. وسبب النزول هنا

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24/ص149.  
(2) ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج2/ص633.

يوضّح أنّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان مشغولاً بمحاولة إقناع قادة قريش بالإسلام، فعبس في وجه الأعمى. فنزلت الآية لتوجيه النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بضرورة الاهتمام بالمستضعفين، ممّا يعكس أهميّة الرِّفْقِ بالضعفاء وعدم النَّهْوان في تقديم العلم والاهتمام للناس كافة<sup>(1)</sup>. والتأثير المباشر هنا يُعَيِّرُ فهم الآية من مجرد انتقاد للعبوس في وجه الأعمى إلى درس أخلاقي في أهميّة العدالة والاهتمام بالفقراء، وكذلك تأكيد على أنّ الدّعوة يجب أن تشمل جميع النَّاس.

الآيات 1 إلى 3 من سورة النبأ، كانت هذه الآيات ردّاً على شكاوى المشركين الذين كانوا يُشكِّكون في القيامة والبعث، وكانوا يتساءلون عن حقيقة النَّبَأِ العظيم الذي يُحَدِّثُ عنه النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وخصوصاً يوم البعث<sup>(2)</sup>. والتأثير المباشر هنا معرفة سبب النَّزُولِ يوضّح أنّ هذه الآيات ليست فقط تأكيداً عاماً على البعث، بل هي ردّ مباشر على إنكار المشركين وتشكيكهم في البعث، ممّا يجعل الآية أكثر وضوحاً وموجهة إلى تلك الفئة من النَّاس.

### 2.2.1.2. إزالة اللبس حول المعاني المحتملة

في بعض الأحيان قد تكون الآيات قصيرة ومختصرة، ممّا يُوَدِّي إلى تعدّد التفسيرات المحتملة لها. لكن معرفة سبب نزول الآية يعمل على إزالة اللبس ويُوَدِّي إلى تحديد المعنى المقصود. وبالتالي، يساعد في توجيه التفسير إلى الاتجاه الصّحيح. ومن أمثلة إزالة اللبس بفضل أسباب النَّزُولِ ما يأتي:

سورة الكافرون: نزلت هذه السورة ردّاً على طلب قريش من النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يشاركهم في عبادتهم مقابل أن يشاركوه في عبادته. وكان ذلك عرضاً من قريش بأن يتفقوا مع النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على تنازل متبادل في العبادة<sup>(3)</sup>. وسبب النَّزُولِ يوضّح أنّ السورة جاءت لرفض أي نوع من المساومة على التوحيد. وكانت بمثابة إشارة واضحة إلى أنّ الإيمان لا يقبل المقايضة أو التراضي على الفسق. والتأثير المباشر هنا فهم سبب النَّزُولِ يوضّح أنّ هذه السورة ليست مجرد إعلان عام عن رفض التّشرك، بل هي رفض خاص للمساومة مع المشركين. وبالتالي، يصبح التفسير أكثر وضوحاً وأقل عرضة للبس.

### 3.2.1.2. عميق الفهم وتحديد التّطبيق الزّماني والمكاني:

يساعد معرفة سبب نزول الآية في تحديد الزّمان والمكان الذي نزلت فيه، وبالتالي يساعد في تطبيقها في السّياق المناسب. فقد تكون بعض الآيات مرتبطة بزمن معيّن أو حادثة معيّنة، وفهم هذه العلاقة يساعد في تطبيق الآية بشكل صحيح. ومن أمثلة تحديد التّطبيق الزّماني والمكاني:

سورة الضحى من الآية 1 إلى الآية 11 نزلت هذه الآيات في حالة نفسيّة خاصّة مرّ بها النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عندما تأخّر الوحي لفترة، فظنّ البعض أنّ الله قد قاطعه. وسبب النَّزُولِ يوضّح أنّ السورة جاءت بمثابة طمأننة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

(1) ابن وهب، تفسير القرآن، ج/1 ص/110.  
(2) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج/8 ص/215.  
(3) ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج/10 ص/6247.

وسلم- بعد فترة من الانعزال وانقطاع الوحي<sup>(1)</sup>. والتأثير المباشر هنا أنّ هذا السبب يجعل فهم السورة أكثر وضوحاً، ويجعل الآيات تُفهم على أنّها تعزية ومواساة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وتؤكد على أنّ الله لا يترك عبده.

وعليه، يمكن القول: إنّ أسباب النزول تلعب دوراً مباشراً في تفسير معاني الآيات في جزء عمّ، حيث توضّح السياق التاريخي الذي نزلت فيه الآية، ممّا يساعد في فهم المعنى المقصود بشكلٍ صحيح. ومعرفة سبب النزول يُعزّز الفهم العميق للآية ويمنع اللبس، ويوجّه التفسير بشكلٍ دقيق، سواء كان ذلك متعلّقاً بتوضيح المعنى في ضوء الأحداث، أو إزالة اللبس حول معاني الآيات، أو تحديد التطبيق الزماني والمكاني للآية.

### المطلب الثالث

#### 3.1.1. تقنيات وأدوات البحث في أسباب النزول

وفيه فرعان:

##### الفرع الأوّل

#### 1.3.1.1. الأدوات التي يستخدمها المفسّرون لتحديد أسباب النزول

تعدّ أسباب النزول من الأدوات المهمّة التي يعتمد عليها المفسّرون لفهم معاني الآيات وتفسيرها في القرآن الكريم، خاصّة في جزء عمّ الذي يضمّ العديد من السور القصيرة والمعاني العميقة. في هذا الجزء، تقع العديد من الآيات في سياقات تاريخية واجتماعية تحتاج إلى تفسير يُحدّد سبب نزولها بشكلٍ دقيق، ممّا يساعد في الوصول إلى المعنى المقصود منها. ولتحديد أسباب النزول، يستخدم المفسّرون عدّة أدوات ومصادر علمية مستندة إلى الحديث النبوي، أقوال الصحابة والتابعين، بالإضافة إلى التاريخ واللغة العربية. وفيما يأتي بعض الأدوات الأساسية التي يستخدمها المفسّرون لتحديد أسباب النزول في جزء عمّ وغيره:

#### 1.3.1.1.1. الحديث النبوي الشريف

يعتبر الحديث النبوي أحد أبرز الأدوات التي يعتمد عليها المفسّرون في تحديد أسباب النزول. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان يشرح لأصحابه كثيراً من الأسباب التي أدت إلى نزول الآيات، خاصّة في المواقف اليومية التي كانت تحدث مع الصحابة. فعلى سبيل المثال، قد يروي الصحابي مثل ابن عباس أو ابن مسعود حديثاً يقول فيه: "نزلت هذه الآية بسبب كذا وكذا"<sup>(2)</sup>.

وفي أهمية الأحاديث الصحيحة، فإنّه يجب على المفسّر التأكّد من صحّة الحديث، بحيث يكون متصلاً وصحيحاً حسب معايير المحدثين، مثل البخاري ومسلم. فإنّ الحديث الصحيح هو المصدر الرئيس في تحديد سبب نزول الآيات. ومن أمثله ما

(1) ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج2/ص633.

(2) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1422هـ، ج1/ص493.

جاء في سورة عبس، حيث ورد عن ابن عباس في الحديث الصحيح<sup>(1)</sup> أن الآية نزلت في بن أم مكتوم، وكان النبي مشغولاً بالدعوة إلى قريش.

#### 1.3.1.1. 2. أقوال الصحابة

بما أن الصحابة كانوا أقرب الناس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وعاشوا الأحداث التي نزلت فيها الآيات، فإن أقوالهم تُعدُّ من المصادر المهمة لفهم أسباب النزول. ومن أمثلتهم:

ابن عباس: ففي سورة النبأ ذكر ابن عباس أن الآية نزلت بسبب استفهام المشركين عن البعث<sup>(2)</sup>. أمّا في سورة الكوثر، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الكوثر أنه الخير العظيم الذي أنعم الله به على نبيه ﷺ. وفي ذلك، سأل أبو بشر سعيد بن جبير: "إن الناس يعتقدون أنه نهر في الجنة"، فردّ سعيد قائلاً: "إن النهر الذي في الجنة هو جزء من الخير الذي وهبه الله لنبيه ﷺ<sup>(3)</sup>."

#### 1.3.1.1. 3. أقوال التابعين

التابعون هم الذين جاؤوا بعد الصحابة، وقد تعلموا من الصحابة ونقلوا عنهم الكثير من الأقوال التي توضّح أسباب النزول. وُجد العديد من التابعين الذين اهتموا بهذا العلم، مثل مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير. الصحابي سعيد بن جبير: نقل عن الصحابي ابن عباس العديد من الأسباب الخاصة بنزول الآيات، وكانت رواياته تُركّز على الجزء الأول من القرآن. ومن أمثلته ما جاء في سورة النبأ، حيث نقل سعيد بن جبير أن الآيات نزلت في الردّ على إنكار المشركين للبعث<sup>(4)</sup>.

#### 1.3.1.1. 4. التفسير اللغوي والبلاغي

يستخدم المفسرون اللغة العربية والبلاغة كأساس لفهم أسباب النزول. فكثير من الأحيان تكون الكلمات في القرآن الكريم دقيقة في معناها، ولهذا فإنّ الفهم اللغوي للألفاظ قد يساعد في تفسير سبب نزول الآية. ومن أمثلته ما جاء في سورة الضحى، حيث يعتبر المفسرون أنّ بلاغة الآيات المتعلقة بالوحي المتقطع تُظهر أنّه عليه الصلاة والسلام كان في حالة نفسية صعبة، ما ساعد في تفسير سبب نزول السورة<sup>(5)</sup>.

#### 1.3.1.1. 5. التاريخ والسير الذاتية

يُعتبر التاريخ والسير الذاتية للأحداث التي جرت في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأدوات المهمة لتحديد أسباب النزول. فتشمل هذه الأدوات القصص التاريخية والسير التي تروي ما حدث في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه. ومثالها: سير الصحابة مثل ابن إسحاق والطبري، وتاريخ الغزوات والمعارك التي خاضها المسلمون، التي يمكن أن توفّر سياقاً

(1) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، ج6/ص166.

(2) ينظر: صحيح البخاري، البخاري، ج6/ص165.

(3) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، ج6/ص178، حديث رقم (4966).

(4) ينظر: صحيح البخاري، البخاري، ج6/ص165.

(5) ينظر: شهاب الدين النويري، نهاية الأرب، دار الكتب القوميّة، القاهرة، ط1، ج16/176 - 177، ويحيى بالمويد بالله، الطراز لأسرار البلاغة، المطبعة العنصرية، لبنان، ط1، 1423هـ، ج1/ص64.

لَفَهَم نَزُولِ الْآيَاتِ. فِي سُورَةِ النَّصْرِ يُمْكِنُ رِبْطُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ بِفَتْحِ مَكَّةَ، حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ انْتَصَرُوا عَلَى قُرَيْشٍ، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَانَتْ تَبَشِيرًا بِفَتْحِ مَكَّةَ وَنَصْرِ اللَّهِ (1).

وعليه، يمكن القول: إنَّ لتحديد أسباب النُّزول في جزء عمّ، يعتمد المفسِّرون على مجموعة من الأدوات العلميَّة التي تشمل الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة، أقوال الصَّحابة والتَّابعين، اللُّغة العربيَّة والبلاغة، إضافة إلى التَّاريخ والقراءات القرآنيَّة. فهذه الأدوات تساعد في توضيح المعنى المقصود للآيات وتفسيرها في سياقها التَّاريخيِّ، ممَّا يسهم في الفَهْم الصَّحيح للقرآن الكريم وتطبيقه في الحياة العمليَّة.

## الفرع الثَّاني

### 2.3.1.1. التَّحدِّيَّات والصُّعوبات في تحديد أسباب النُّزول بشكلٍ دقيق

تُعَدُّ أسباب النُّزول من الأدوات الأساسيَّة في فَهْم القرآن الكريم وتفسيره بشكلٍ صحيح، وخاصَّة في جزء عمّ، الذي يحتوي على العديد من السُّور القصيرة التي تنطوي على معانٍ متعدِّدة وتستدعي معرفة سياقات معيَّنة لفَهْم مراد الله - سبحانه وتعالى-. ومع ذلك، فإنَّ تحديد أسباب النُّزول بدقَّة قد يواجه العديد من التَّحديات والصُّعوبات التي تعوق تحقيق الفَهْم الكامل للآيات في هذا الجزء. ويمكن تلخيص هذه التَّحديات في عدَّة محاور رئيسة على النَّحو الآتي:

#### 2.3.1.1.1. نقص الرِّوايات الصَّريحة حول سبب النُّزول

إحدى أبرز الصُّعوبات التي يواجهها المفسِّرون في تحديد أسباب النُّزول هي نقص الرِّوايات الصَّريحة التي توضِّح سبب نزول العديد من الآيات في جزء عمّ. فقد لا توجد روايات واضحة أو أحاديث صحيحة تذكر السَّبب الذي أدَّى إلى نزول بعض الآيات، أو تكون هذه الرِّوايات مبهمه وغير مفصَّلة بما يكفي. ومثاله ما جاء في سورة النَّبأ (2) أو سورة الزَّلزلة (3)، على الرَّغم من أنَّ بعض العلماء والمفسِّرين قد قدَّموا تفسيرات لحالات نزول هذه السُّور، فإنَّ أسباب النُّزول تكون غالبًا غير موثَّقة بشكلٍ كافٍ.

#### 2.3.1.1.2. التَّدعاض بين الرِّوايات

في بعض الأحيان، يوجد أكثر من رواية أو رأي حول سبب نزول الآية، ما يؤدِّي إلى التَّنقض أو الاختلاف بين هذه الرِّوايات. وفي مثل هذه الحالات، يكون من الصَّعب على المفسِّر تحديد السَّبب الدَّقيق للنُّزول، ممَّا يتطلَّب مزيدًا من التَّحليل والنَّقْد. ومثاله ما جاء في سورة عبس، هناك روايات متعدِّدة حول سبب نزول الآية، ففي بعض الروايات يُذكر أنَّ الآية نزلت بسبب عبد الله بن أمِّ مكتوم، بينما توجد روايات أخرى تتعلَّق بمواقفٍ أخرى كان فيها النَّبي -صلى الله عليه وسلَّم- مشغولاً (4). هذا التَّنوع في الرِّوايات يضيف صعوبة في تحديد سبب النُّزول بشكلٍ دقيق.

(1) ينظر: مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ص 758.

(2) ينظر: الطَّبْرِي، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 24/ص 149، والتَّطْلَبِي، الكشف والبيان، ج 8/ص 215.

(3) ينظر: الطَّبْرِي، جامع البيان، ج 24/ص 149.

(4) ابن وهب، تفسير القرآن، ج 1/ص 110.

### 1.1.3.2.3. عدم وجود مصدر موثوق واحد

في بعض الحالات، قد لا توجد روايات صحيحة تُحدّد سبب نزول بعض الآيات بشكلٍ دقيق، ممّا يجعل المفسّرين يعتمدون على التّفسير الّتي قد تتضمّن آراء اجتهاديّة بناءً على الفهم الشّخصي للآية. وفي غياب المصدر الموثوق، يظلّ تحديد سبب النّزول قابلاً للتّأويل، وهو ما يزيد من تعقيد العمليّة التّفسيريّة. ومثاله ما جاء في سورة الكافرون، حيث يُمكن أن يختلف التّفسير بناءً على أسباب النّزول الّتي وردت في بعض الكتب التّفسيريّة، حيث يمكن أن يُفهم سبب نزول السّورة على أنّه ردّ على شرك قريش أو على طلب قريش من النّبي -صلّى الله عليه وسلّم- التّنازل عن بعض معتقداته<sup>(1)</sup>.

### 1.1.3.2.3.1. عدم توثيق بعض الأحداث أو الملابسات

في بعض الأحيان، قد تكون أسباب النّزول مرتبطة بأحداثٍ أو مواقف وقعت في التّاريخ الإسلاميّ المبكر، ولكن لم يتم توثيق هذه الأحداث بشكلٍ كافٍ. فمن الممكن أن تكون الآيات نزلت في مواقف اجتماعيّة معيّنة لم تُسجّل في كُتب التّاريخ أو لم يُؤخذ بها في الروايات المتوافرة. ومثاله ما جاء في سورة الزلزلة، فقد تكون هذه الآيات نزلت في سياق التّحذير من يوم القيامة<sup>(2)</sup>، ولكن لا يوجد ما يحدّد ما إذا كانت قد نزلت في ردّ على حادثة معيّنة، ممّا يترك الباب مفتوحاً للتّأويلات المختلفة.

### 1.1.3.2.3.1.4. تعدّد التّفسير بناءً على السّياق الشّامل

أحياناً، قد تكون الآية في جزء عمّ نزلت في مواقف متعدّدة أو تحمل دلالات متنوّعة، ممّا يجعل من الصّعب تحديد سبب النّزول بشكلٍ حصريّ. فتتسم بعض الآيات بأنّها تحمل معانٍ عامّة قد تنطبق على عدّة سياقات، ما يتسبّب في صعوبة فهم السّبب المباشر أو الدّقيق لنزولها. ومثاله ما جاء في سورة الفجر، فقد تكون الآيات مرتبطة بعدّة أحداث في حياة النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، من بينها غزوة بدر ومواقف أخرى، ممّا يجعل تحديد سبب النّزول معقّداً<sup>(3)</sup>.

### 1.1.3.2.3.1.5. الدّحيّات في فهم الدّصوص المتأخّرة والمفسّرين اللاحقين

من الممكن أن يتأثّر تفسير الآية بما قدّمه المفسّرون اللاحقون بناءً على الفهم في عصورهم المختلفة، وبالتالي قد يتمّ إعطاء أسباب نزول متأخّرة ليست دقيقة تماماً. فقد يُستخدم التّفسير الإضافي من قبل المفسّرين المعاصرين في فهم أسباب النّزول استناداً إلى رواهم الشّخصيّة. ومثاله في بعض التّفسيرات الحديثة -كتفسير الإمام الشّعراوي وغيره-، قد يُسهم بعض المفسّرين في تفسير الآية بناءً على مواقف معاصرة أو اجتهادات لا تعكس السّبب التّاريخيّ الحقيقيّ لنزول الآية الكريمة.

وعليه، يمكن القول: إنّ عمليّة تحديد أسباب النّزول في جزء عمّ وغيره من الأجزاء- تواجه العديد من التّحدّيات والصّعوبات، الّتي تتراوح بين نقص الروايات الصّريحة، والتّعارض بين الروايات، وعدم وجود مصدر موثوق واحد، إلى التّحدّيات اللّغويّة والتّاريخيّة المتعلّقة بالتحديد الزّمانيّ والمكانيّ للأحداث. كما أنّ تنوّع المواقف الّتي قد تنزل فيها الآيات يُعقّد

(1) ينظر: الشّعراوي، تفسير الشّعراوي، ج10/ص6247.

(2) ينظر: الطّبري، جامع البيان، ج24/ص149.

(3) ينظر في تعدّد أغراض هذه السّورة: الطّاهر بن عاشور، الشّرح والتّأويل، التّونسيّة للنشر - تونس، 1984هـ، ج30/ص311 - 312.

عملية تحديد السبب. ومع ذلك، يبقى الفهم الصحيح للسياق وأدوات التفسير المعتمدة مثل الحديث النبوي، أقوال الصحابة والتاريخ من وسائل المفسرين الرئيسية في معالجة هذه الصعوبات والنوصل إلى تفسير دقيق للآيات.

## الفصل الثاني

### 2. أسباب النزول في جزء عم

يتناول هذا الفصل دراسة أسباب النزول التطبيقية عبر ستة وعشرين مبحثاً، حيث يختص كل مبحث بإحدى السور القرآنية التي وردت فيها أسباب نزول مؤكدة، وفق ما جاء في الروايات الحديثية وأقوال الصحابة. وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على أمهات كتب التفسير المعتمدة، التي وثقت أسباب النزول. ويهدف هذا الفصل إلى تحقيق فهم أعمق لدلالات الآيات في سياقها التاريخي والشرعي، بشكل تطبيقي مستنداً إلى المصادر التفسيرية المعتمدة، وجمعنا في المبحث الأخير بين سورتي الفلق والناس، المعروفتين بالمعوذتين.

## المبحث الأول

### 2. 1. دراسة أسباب النزول في سورة النبأ

سورة النبأ هي إحدى السور الطوال في جزء عم، وهي مكيّة وأربعون آية<sup>(1)</sup> تُركّز على موضوعات العقيدة الأساسية مثل البعث، القيامة، الجزاء، والمصير الأبدي للإنسان. كما أنّها تتطرّق إلى الرّدّ على التّكذيب والمشرّكين الذين كانوا يُشكّكون في البعث والحياة بعد الموت. نزلت في وقت كانت قريش تُكذّب فيه بالبعث، وتعتبره أمراً مستحيلاً. كان مشركو قريش يستنكرون فكرة الحياة بعد الموت، وكانوا يعتقدون أنّ الإنسان بعد موته وتحلّل جسده لا يمكن أن يُبعث مجدداً. وكانوا يسخرون من النّبئ - صلّى الله عليه وسلّم- ويستهزئون بتأكيده على البعث والآخرة<sup>(2)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة النبأ:

ذكر الطبري في تفسيره أنّ الآية: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ \* عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ} [النبأ: 1-2] نزلت بعد بعثة النبي ﷺ حين بدأ الناس يتساءلون ويتجادلون فيما بينهم، إلا أنّ الرواية لا توضّح صراحة ما هو "النبأ العظيم". ولذلك، اعتمد الطبري في تفسيره على سياق الآيات، وخاصة قوله تعالى: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [النبأ: 3]، ليرجّح أنّ المقصود بالنبأ العظيم هو البعث بعد الموت. ويؤيد تفسيره بآيات أخرى مثل: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص: 67]<sup>(3)</sup>.

(1) التعلبي، الكشف والبيان، ج 10/ص 113.

(2) التعلبي، الكشف والبيان، ج 10/ص 113.

(3) الطبري، جامع البيان، ج 24/ص 5-6.

في المقابل، يرى مجاهد أنّ المقصود بـ"النبأ العظيم" هو القرآن الكريم، ويستند في ذلك إلى رواية تُنسب إلى ابن عباس، جاء فيها: "نزل القرآن، فاجتمعت قريش يتحدثون فيما بينهم؛ فمنهم من صدق، ومنهم من كذب، فأنزل الله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ: 1]". وقد أورد ابن عادل هذه الرواية في تفسيره "اللباب"<sup>(1)</sup>.

يتضح من الروایتين فرق جوهري؛ فالأولى تصف حال الناس عند البعثة دون تحديد موضوع الجدل، أما الثانية فتربط الآية صراحةً بنزول القرآن وردود أفعال المشركين. ولهذا اختلف المفسرون: فبعضهم، كالطبري وابن كثير، فسّر "النبأ العظيم" بالبعث اعتمادًا على السياق العام للآية؛ بينما فسره آخرون، كمجاهد وابن عادل، بالقرآن، اعتمادًا على الرواية الثانية المنقولة عن ابن عباس<sup>(2)</sup>.

يتبين من ذلك أنّ بعض روايات أسباب النزول تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، بينما لا يكون لها في حالات أخرى سوى طابع توضيحي للسياق العام. والاختلاف في التأويل بين المفسرين يرجع إلى الفروق الدقيقة بين الروايات المعتمدة.

وقد تفرّع عن هذه الروايات اتجاهان تفسيريّان مختلفان عند المفسرين. الاتجاه الأول يمثله الطبري وابن كثير، حيث فسّر "النبأ العظيم" بأنه البعث بعد الموت. قال الطبري في موضع آخر: {عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ} يعني: البعث. وأيد هذا الفهم بقوله تعالى في الآية التالية: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}، وقال: قالوا: هذا اليوم الذي تزعمون أننا نُحْيى فيه وآبأونا. فهم فيه مختلفون: لا يؤمنون به. ثم استشهد الطبري بأية أخرى وهي قوله تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص: 67]، ليؤكد أن المقصود هو يوم القيامة. وبهذا اعتمد الطبري في تفسيره على سياق الآيات التالية في السورة، وكذلك على آيات أخرى مشابهة في القرآن، ما يعني أنه قدّم السياق الداخلي للنص القرآني على روايات سبب النزول، بل فسّر الرواية في ضوء السياق وليس العكس.

وسلك ابن كثير نفس المسار التفسيري، إذ قال في تفسيره: "عن أي شيء يتساءلون؟ عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفزع الباهر". ثم ذكر قول قتادة وابن زيد: "النبأ العظيم هو البعث بعد الموت"، وقال عن هذا القول: "والأظهر الأول"، أي أن البعث هو الأرجح عنده. وبالتالي، فإن ابن كثير قدّم السياق القرآني وعموم دلالة الآيات في تفسير الآية، ثم جعل الروايات متوافقة مع هذا الفهم.

أما الاتجاه الثاني، فيمثله مجاهد بن جبر، حيث ورد عنه عند الطبري قوله: {عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ} قال: "القرآن". وقد نُقلت هذه الرواية عن طريق الحسن عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. كما وردت رواية ابن عادل عن أبي صالح عن ابن عباس، والتي تشير إلى أن قريش تساءلوا عندما نزل القرآن، وتحدثوا فيما بينهم، فمنهم من صدق ومنهم من كذب. فدلّ ذلك على أن "النبأ العظيم" هو الوحي القرآني الذي أثار جدلاً واختلافًا بينهم.

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 91-92.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8/ 306-308.

وعلق ابن عادل على ذلك قائلاً: "وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: عمّ يتحدث به قریش في القرآن؟ ثم أجاب، فصارت (عمّ) كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن؟ ثم أخبر فقال: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} بين مصدق ومكذب، فذلك اختلافهم". وبهذا يتضح أن أصحاب هذا الاتجاه التفسيري قد قدّموا الرواية في فهم الآية، وأكدوا أن "النبأ العظيم" هو القرآن، وفسّروا السياق الداخلي على هذا الأساس. كما أنهم استأنسوا بآيات أخرى كقوله تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ}، ليدلوا بها على أن المراد هو القرآن، مما يشير إلى استخدامهم لأسلوب "تفسير القرآن بالقرآن" مع اعتبار الروايات التفسيرية ركيزة أولى<sup>(1)</sup>.

يُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لم تكن عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. فبينما اتخذ مجاهد وابن عادل الرواية منطلقاً أولياً للفهم، قدّم الطبري وابن كثير السياق القرآني والآيات المماثلة على رواية السبب، ثم حملوا الرواية معنى يتوافق مع السياق. وبهذا يظهر اختلاف واضح في التعامل مع الرواية: فإما أن تُفهم في ضوء السياق، أو أن يُقدّم السياق بما يفسّر به الرواية ذاتها.

## المبحث الثاني

### 2.2. دراسة أسباب الدُّزول في سورة النَّازعات.

سورة النازعات هي من السور المكية بإجماع من المتأولين، وهي ست وأربعون آية، وسميت هذه السورة بهذا الاسم "النازعات"، وذلك لافتتاحها بالقسم الإلهي بالنَّازعات، الملائكة الذين يقبضون أرواح بني آدم، برفق وسهولة للمؤمنين، أو بشدة للكفار والمشركين بالله - سبحانه وتعالى<sup>(2)</sup>.

وتتناول هذه السورة المباركة عدة قضايا عقديّة إسلامية، من بينها موضوع البعث والجزاء، والرد على إنكار المشركين لهذا اليوم العظيم، والتخويف من هوله وما يصيب الناس فيه من الفزع، كما تفند شبهات المشركين حول استحالة الإحياء بعد الفناء، بالإضافة إلى تناول مجموعة من المقاصد الأخرى المتنوعة. ومن أبرز مقاصد هذه السورة الكريمة ما يلي: <sup>(3)</sup>

- إقامة الأدلة على وحدانية الله - سبحانه وتعالى.
- إثبات البعث، وإقامة البرهان على إثبات البعث، وأهوال يوم القيامة.
- وذكر العديد من صفات يوم القيامة، وأهوالها، والجواب على الذين أنكروه.
- من مقاصد السورة الكريمة أنها اشتملت على التذكير بالحوار الذي كان بين موسى وفرعون، وبيان كيف حلّ بفرعون وجنوده في الأرض.

(1) الطبري، جامع البيان، ج 24/ ص 6-7.

(2) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ ص 430.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ ص 430.

- كذلك اشتملت السورة الكريمة على مظاهر قدرة الله - سبحانه وتعالى- التي نشاهدها ونراها في كل وقت في خلق الله الكريم، الذي خلق كل شيء فأبدع وأحسن خلقه.

- اشتملت السورة الكريمة على توضيح وبيان حسن عاقبة الْمُتَّقِينَ في الدنيا والآخرة، وكذلك على سوء عاقبة الكافرين أيضاً في الدنيا قبل الآخرة، وغير ذلك من مقاصد السورة الكريمة<sup>(1)</sup>

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة النازعات:

لم أقف على سبب نزول لهذه السورة الكريمة كغيرها من السور القرآنية الأخرى، ولكن ما ورد بشأنها من أسباب النزول يتعلق ببعض الآيات القرآنية منها، ولكن ينتبع ما ذكره أهل العلم من المفسرين حول بيان المراد من لفظة "النازعات" تبيّن لي اختلافهم في تحديد المراد من ذلك إلى عدة أقوال، وذلك على النحو التالي:

**القول الأول:** أنّ المراد بالنازعات هم الملائكة، وقد نقل هذا القول الطبري وابن كثير وابن عطية عن السلف الصالح، إسحاق بن أبي إسرائيل، والنضر بن شميل، ومعاوية والأعمش ومسروق، وشعبة والسدي وابن عباس<sup>(2)</sup>.

**القول الثاني:** أنّ المراد بالنازعات الموت، حين ينزع النفوس من الأجساد، وقد نقل هذا القول الطبري، وابن عطية، عن وكيع، وسفيان وأبن أبي نجيح، عن مجاهد<sup>(3)</sup>.

**القول الثالث:** أنّ المراد بالنازعات: النجوم، وقد نقل هذا القول الطبري في تفسيره هذا القول عن أبي قتيبة، وأبي العوام، والحسن، وابن عبد الأعلى، وابن ثور، ومعرم وقتادة<sup>(4)</sup>.

**القول الرابع:** أنّ المراد بالنازعات: القسيّ تنزع بالسهم، وقد نقل هذا القول الطبري في تفسيره هذا القول عن أبي كريب، عن وكيع، عن سفيان، عن السدي<sup>(5)</sup>.

وقد رجّح الطبري في تفسيره المراد بالنازعات فقال: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً، ولم يخص نازعة دون نازعة، فكُلّ نازعة غرقاً، فداخلة في قسمه، ملكا كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك. والمعنى: والنازعات إغراقاً كما يغرق النازع في القوس"<sup>(6)</sup>.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ص 430.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/ص 185-186، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 8/ص 314، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ص 430.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/ص 185-186، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ص 430.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/ص 185-186.

(5) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/ص 185-186.

(6) الطبري، جامع البيان، ج 24/ص 186.

أما ما ورد من أسباب نزول في سورة النازعات فقد ورد عن سعيد بن منصور، بسند متصل عن محمد بن كعب، أنه قال: عندما نزلت قوله تعالى: ﴿أَنَا لَمْرُدُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ من سورة [النازعات: 10]، قالت قريش مستهزئة: "لئن عدنا للحياة بعد الموت، فسنكون خاسرين"، فأنزل الله - عز وجل - قوله: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12].<sup>(1)</sup>

وفي المقابل، روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها: مازال النبي - صلى الله عليه وسلم - يُسأل عن الساعة، حتى أنزلت: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: 43-44].<sup>(2)</sup>

يتضح من الروایتين فرق جوهري؛ فالأولى تُبين استهزاء قريش عندما نزل قول الله تعالى: ﴿أَنَا لَمْرُدُونَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ من سورة [النازعات: 10]، بأنَّ هناك حياة أخرى بعد الموت، فقالت مستهزئة من ذلك: "لئن عدنا للحياة بعد الموت، فسنكون خاسرين"، فأنزل الله - عز وجل - قوله: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12].<sup>(3)</sup>

أما الثانية فتُبين وتوضح المراد من الساعة، فقد روي أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - مازال يُسأل عن الساعة، حتى أنزلت: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: 43-44].<sup>(4)</sup>

يتبين من ذلك أنَّ بعض روايات أسباب النزول تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، بينما لا يكون لها في حالات أخرى سوى طابع توضيحي للسياق العام. والاختلاف في التأويل بين المفسرين يرجع إلى الفروق الدقيقة بين الروايات المعتمدة.

وقد تفرَّع عن هذه الروايات اتجاهان تفسيريَّان مختلفان عند المفسرين. الاتجاه الأول يمثل الطبري وابن كثير، وابن عطية وغيرهم، حيث بيَّنوا المراد من الرواية الأولى هو البعث بعد الموت، فقال الطبري موضحاً ذلك: يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المكذِّبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أننا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا، وقبل مماتنا، وهو من قولهم: رجع فلان على حافرتة: إذا رجع من حيث جاء، والمراد بذلك هو البعث بعد الموت مرة أخرى.<sup>(5)</sup>

والاتجاه الثاني يرى أنَّ المراد من الرواية الثانية التأكيد على غيبية الساعة، وعدم معرفة أي شخص بها، وتكذيب من يدعي أنه يعلم قيامها، ويمثل هذا الاتجاه الطبري وابن كثير والطاهر ابن عاشور، فقد بين ذلك ابن كثير بقوله: يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها أي ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها

(1) أخرجه السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج8/ ص407.

(2) أخرجه الطبري، جامع البيان، ص30/ ص31.

(3) أخرجه السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج8/ ص407.

(4) أخرجه الطبري، جامع البيان، ص30/ ص31.

(5) انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج24/ ص193، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/ ص319.

عند الله [الأعراف: 187] وقال هاهنا إلى ربك منتهاها ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»<sup>(1)</sup>.

وبهذا اعتمد الطبري وغيره من أهل العلم في تفسيرهم على سياق الآيات التالية في السورة، وكذلك على آيات أخرى مشابهة في القرآن، ما يعني أنه قدّم السياق الداخلي للنص القرآني على روايات سبب النزول، بل فسّر الرواية في ضوء السياق وليس العكس.

يُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لم تكن عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. ووفقاً لما ورد في هذه السورة من روايات، نفهم أن الموضوع الآية هو الساعة وموعدها. وهذه الرواية توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية والذي كان النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- يسأل عنه. وبالفعل، نستنتج من سياق السورة أن السؤال الأساسي يتعلق بالساعة، وخاصة فيما يخص بموعدها وتوقيتها من أبرز مقاصد هذه السورة الكريمة التأكيد على حقيقة البعث، وتصوير بعض من مشاهد القيامة المروعة، مع الرد على المنكرين له بأسلوب يحمل في طياته التهديد والإنذار، وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية.

### المبحث الثالث

2. 3. دراسة أسباب النزول في سورة عبس.

سورة عبس هي من السور المكية بإجماع آراء أهل العلم، وقد أجمع أهل التفسير على ذلك، ذكر الإمام ابن عطية في تفسيره بأن سورة عبس مكية بإجماع المفسرين، وهي السورة الرابعة والعشرون من حيث نزول السور الكريمة<sup>(2)</sup>.

سورة عبس تحتوي على أربعين آية وفق العدّ الشامي، في حين أنها تُعدّ 41 آية عند أبي جعفر والبصري، و42 آية عند باقي القراء. وقد اشتملت السورة على العديد من المقاصد العظيمة، والقضايا المهمة، فهي من بين السور القرآنية التي تقرر العقيدة الصحيحة، وذلك من خلال إقامة الأدلة القاطعة على وحدانية الله -سبحانه وتعالى- ووجوده، وخلق الإنسان، وإثبات قضية البعث والنشور، وذكر أحوال وأهوال يوم القيامة، والتأكيد على مبدأ التسوية والعدل بين الناس في الدعوة إلى الله -عز وجل-، بالإضافة إلى المقصد الجليل وهو تعليم لرسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الموافقة بين المصالح المختلفة، وتذكر شرف القرآن الكريم، وبيان أنه موعظة لكل من تدبره وفهمه، والتنويه بضعاف المؤمنين، وانهم أعظم عند الله -سبحانه وتعالى- من أصحاب الكفر والفجور، وبيان وتوضيح انقسام الناس في الآخرة إلى سعداء وأشقياء وغير ذلك من القضايا العقدية التي اشتملت عليها السورة الكريمة<sup>(3)</sup>.

روايات أسباب النزول في سورة عبس:

(1) انظر: الطبري، تفسير الطبري، ج24/ص193، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/ص319.  
(2) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5/ص436، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص101.  
(3) ينظر: الإمام البقاعي، مساعد النظر للأشراف على مقاصد السور، ط1، الرياض، المعارف، 1408هـ، ج3/ص157، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3/ص102.

ذكر الطبري في تفسيره ما ورد عن عائشة أنها قالت: أنزلت (عَبَسَ وَتَوَلَّى) في ابن أم مكتوم قالت: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُعرض عنه، ويُقِيل على الآخر ويقول: "أترى بما أقولُهُ بأساً؟ فيقول: لا ففي هذا أنزلت: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) (1).

وقد نقل ابن عادل في تفسيره ما ذكره أهل العلم من المفسرين فقال: أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن أم مكتوم، واسمُ مكثوم عاتكة بنتُ عامر بن مخزوم، وكان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صناديدُ قريش: عُثْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا رَبِيعَةَ، وأبو جَهْلِ بْنِ هشام، والعبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وأمِيَّةُ بن خلف، والوليدُ بْنُ الْمُغْبِرَةِ، يدعوهم إلى الإسلام رجاءً أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِمَني مما علمك الله، وكرَّر ذلك عليه، فكره قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، فنزلت هذه الآية(2).

قال ابن العربي: أمَّا قول المفسرين: إنه الوليد بن المغيرة، أو أمية بن خلف والعباس، فهذا كله باطلٌ وجهلٌ؛ لأن أمية والوليد كانا ب «مكة» وابن أم مكتوم كان ب «المدينة» ما حضر معهما، ولا حضرا معه، وماتا كافرين، أحدهما: قبل الهجرة، والآخر في «بدر»، ولم يقصد أمية «المدينة» قط، ولا حضر معه مفرداً، ولا مع أحدٍ، وإمَّا أقبل ابن أم مكتوم والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشغول بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الإسلام، وقد طمع في إسلامهم، وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى، فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه مشغول بغيره، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء إمَّا أتباعُ العُمَيَّانِ والسَّقَطَةِ والعبيد، فعبس وأعرض عنه، فنزلت الآية(3).

بنتبع الروايات الواردة في أسباب سورة عبس تبين لي أنَّ جميع الروايات بل والأحاديث جميعها جاءت متفقة في أصل محتواها، ولكنها مختلفة في بعض تفاصيلها، بالإضافة إلى أنَّ الروايات الواردة في أسباب نزول هذه السورة تؤكد: المراد بـ"عبس" هو صلى الله عليه وسلم وأنها أنزلت في ابن أم مكتوم الأعمى رضى الله عنه.

روى عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن سورة "عبس وتولى" نزلت في شأن عبد الله بن أم مكتوم، ذلك الصحابي الأعمى، حينما جاء إلى النبي ﷺ طالباً للإرشاد والهداية، بينما كان النبي ﷺ منشغلاً بمحادثة أحد كبار قريش من المشركين، أملاً في استمالاته إلى الإسلام. وقد أعرض النبي ﷺ عن ابن أم مكتوم في تلك اللحظة، منصرفاً إلى محاورته ذلك الرجل، فسأله: "هل تجد فيما أقول شيئاً يريبك؟"، فأجاب بالنفي. فكانت هذه الواقعة سبباً في نزول الآيات التي جاءت لتوجيه النبي ﷺ نحو الاهتمام بذوي الاحتياجات، وتوضيح معيار التفاضل الحقيقي في الإسلام(4).

(1) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج24/ص217.

(2) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ص153.

(3) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ص153.

(4) الإمام الترمذي، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب عبس، ج5/ص357، حديث رقم، 3331.

توضح الروايات أن سورة عبس نزلت بسبب موقف النبي ﷺ مع عبد الله بن أم مكتوم، حينما أعرض عنه لانشغاله بمحاوره أحد كبار المشركين، سعياً لهديته. وجاءت المعاتبة الربانية لتلفت انتباه النبي ﷺ إلى أهمية الاهتمام بالطالبيين للهداية، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية. وهذا يؤكد مبدأ الإسلام في تكريم الإنسان بناءً على إيمانه وعمله، لا على وضعه الظاهري.

يتبين من ذلك أنَّ الراوية الواردة في بيان المراد من عبس في هذه السورة الكريمة تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، ومن ثمَّ يُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لها جانب كبير في فهم سياق الآية الكريمة، وبهذا يظهر أهمية التعامل مع الرواية: فإما أن تُفهم في ضوء السياق، أو أن يُقدّم السياق بما يفسّر به الرواية ذاتها.

## المبحث الرابع

2. 4. دراسة أسباب النزول في سورة التّكوير.

تُعد سورة التّكوير من بين السور المكية باتفاق أهل العلم، وقيل: هي مكية بإجماع من المتأولين<sup>(1)</sup>.

وعدد آياتها تسع وعشرون آية عند الكل، و8 آيات عند أبي جعفر، وأسقط أبو جعفر قوله: (فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ)، [التكوير: 26]<sup>(2)</sup>.

وقد نزلت بعد سورة المسد، حيثُ عقد الزركشي فصلاً تكلم فيه عن ذلك بقوله: "من أوائل ما نزل بمكة أوائل سورة العلق ثمَّ أوائل سورة الفلم [بداية سورة المزل، ثم بداية سورة المدثر، ثم سورة المسد، ثم التّكوير، وترتيبها المصحفي فتقع في الجزء الثلاثين بعد سورة عبس<sup>(3)</sup>]."

وقد تضمن سورة التّكوير العديد من المعاني السامية والمقاصد الجليلة، حيث تؤكد على عقيدة البعث والجزاء، وتوضح أحداث يوم القيامة ومراحلها المختلفة، مع الترغيب في الإيمان والعمل الصالح باعتبارهما السبيل إلى الجنة، والتحذير من الشرك والمعاصي التي تؤدي إلى النار. كما تسلط السورة الضوء على مشاهد يوم القيامة العظيمة، وثبتت نبوة النبي محمد ﷺ، موضحة أن القرآن الكريم يمثل موعظة وذكرى لمن يسعى للهداية وينشد الخير<sup>(4)</sup>.

وفي هذا السياق، ورد عن النبي ﷺ، في حديث ابن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: "من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ سورة التّكوير، وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق"، لما تحتويه هذه السور من وصف دقيق لأحوال ذلك اليوم العظيم<sup>(5)</sup>.

## الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة التّكوير:

(1) السمعاني، تفسير السمعاني، ج6/ص164، و، الطبري، جامع البيان، ج24/ص235.  
(2) ينظر: الثعالبي، تفسير الثعالبي، ج10/ص136، وعلاء الدين الخازن، تفسير الخازن، ج7/ص212.  
(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1/ص193، وينظر: الزمخشري، تفسير الزمخشري، ج4/ص707.  
(4) السمعاني، تفسير السمعاني، ج6/ص164، و الطبري، جامع البيان، ج24/ص235.  
(5) الترمذي، سنن الترمذي، باب إذا الشمس كورت، ج5/ص423.

لم أقف على سبب نزول لهذه السورة الكريمة كغيرها من السور القرآنية الأخرى، ولكن ما ورد بشأنها من أسباب النزول يتعلق ببعض الآيات القرآنية منها، ولكن ينتبع ما ذكره أهل العلم من المفسرين حول بيان المراد من لفظة "التكوير" تبين لي اختلافهم في تحديد المراد من ذلك إلى عدة أقوال، وذلك على النحو التالي:

**القول الأول:** أنَّ المراد بتكوير الشمس يعني: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا، وقد نقل هذا القول الطبري، وابن كثير، وابن عطية، والرازي، والزمخشري<sup>(1)</sup>.

**القول الثاني:** أنَّ المراد بتكوير الشمس ظلامها، وقد ورد هذا القول عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس<sup>(2)</sup>.

**القول الثالث:** أنَّ المراد بتكوير الشمس اضمحلالها وذهابها، وقد ورد هذا القول عن عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد<sup>(3)</sup>.

**القول الرابع:** أنَّ المراد بتكوير الشمس انتكاسها، وقد ورد هذا القول عن عطاء بن علي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح<sup>(4)</sup>.

وقد رجَّح الطبري ما ذكره أهل العلم في المراد بتكوير الشمس، فقال: " { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } [التكوير: 1]، إِنَّمَا مَعْنَاهُ: جَمَعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَفَّتْ فَرَمِي بِهَا، وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهَا ذَهَبَ ضَوْؤُهَا. فَعَلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ لِكَلِمَةِ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرْتُ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَجْهَ صَحِيحٍ، وَذَلِكَ أَنَّهَا إِذَا كُوِّرَتْ وَرُمِيَ بِهَا، ذَهَبَ ضَوْؤُهَا"<sup>(5)</sup>.

أما ما ورد من أسباب نزول في سورة التكوير " هذه جملة " { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } من أحكام اليوم الآخر تضمنها صدر هذه السورة، ولذلك روي قال سهل: <sup>6</sup>حكى محمد بن سوار عن ابن عمر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى القيامة رأي العين فليقرأ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ [1] ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ [الانفطار: 1] ، وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ [الانشقاق: 1] »<sup>7</sup>

يُستفاد من هذه الرواية التي وردت في هذه السورة الكريمة أنَّ أسباب النزول لم تكن عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. ووفقاً لما ورد في هذه السورة من روايات، نفهم أن الموضوع أن المراد بـ"التكوير" تسمية لحكاية لفظ ورد

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 128 / 24، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 328 / 8، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 441 / 5، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 63 / 31، والزمخشري، تفسير الزمخشري، ج 706 / 4.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 128 / 24، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 328 / 8، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 441 / 5، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 63 / 31، والزمخشري، تفسير الزمخشري، ج 706 / 4.

(3) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 128 / 24، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 328 / 8، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 441 / 5، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 63 / 31، والزمخشري، تفسير الزمخشري، ج 706 / 4.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 128 / 24، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 328 / 8، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج 441 / 5، والرازي، مفاتيح الغيب، ج 63 / 31، والزمخشري، تفسير الزمخشري، ج 706 / 4.

(5) الطبري، جامع البيان، ج 131 / 24.

(6) رواه أحمد في "المسند" 37 / 2 (4941)، والمصنف، وعنه الواحدي في "الوسيط" 4 / 427، والبيهقي في "معالم التنزيل" 8 / 345،

(7) تفسير التستري، ص 178

في السورة نفسها، وهذه السورة الكريمة كما تبين تتعلق بالعقيدة، تتناول سورة التكوير في سياقها القرآني تقرير حقيقتين جوهريتين، الأولى تتعلق بالمشاهد العظيمة التي تقع يوم القيامة، وما تحمله من أهوال تقلب نظام الكون، والثانية تثبت أن القرآن الكريم وحي إلهي نزل من عند الله تعالى، ليكون هداية للبشرية. وكلا الأمرين يعد من ركائز الإيمان. وقد جاءت السورة في بنيتها على قسمين رئيسيين، حيث استعرض القسم الأول أحداث يوم القيامة بتفصيل يوحى بعظمة ذلك اليوم، ليكون تمهيداً للقسم الثاني الذي يركز على إثبات مصدر الوحي وعلاقته بالملك الموكل بتبليغه.

ومع ذلك، فإن هذه الرواية توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآيات الكريمة، حيث قصدت السورة الكريمة التهديد الجازم بيوم الوعيد؛ حيث عظم المقام لعظم الجلال، بالإضافة إلى الإشارة إلى كون القرآن الكريم تذكرة قام به أمين الوحي، مؤتمن عليه، منزه عن التهمة، والتأكيد على صدق القرآن الكريم وحيًا سماويًا كباقي الكتب والرسالات. وبالفعل، نستنتج من سياق السورة أنها تسوق جانبًا مهمًا من خلال التأكيد على قاهرة الله تعالى لجميع خلقه، وأنه لن يكون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى، والتأكيد على أن حقائق القرآن ليست تنجيماً، ولا كهانة من سجع الكهان، وإنما هي حقائق قطعية. وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية الكريمة.

تأتي الآيتان الأخيرتان من سورة التكوير: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ \* وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-28} (29) في موقع لافت ضمن سياق السورة. فقد حُصِّصَ أولها لمشاهد يوم القيامة الكونية، ثم ذُكر إثبات مصدر القرآن الكريم وأنه وحي إلهي نزل بواسطة الرسول الأمين. وبعد هذا الانتقال الطبيعي يَرُدُّ في الخاتمة حديث عن علاقة مشيئة العبد بمشيئة الله، وهو ما يثير إشكالاً ظاهرياً في الاتصال بالسياق العام، إذ إن السورة في معظمها تركز على مشاهد القيامة وعلى حقيقة الوحي، بينما تأتي هذه الآية في نهايتها لتتحدث عن الإرادة والاختيار. وهنا تبرز قيمة رواية سبب النزول، إذ تفسر موضع الآية وتوضح أن نزولها جاء رداً على مقالة أبي جهل ومن معه حين قالوا: "الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم"، فأنزل الله تعالى الآية الأخيرة لتبطل دعواهم الاستقلالية وترد عليه قال الماوردي "وقيل إن سبب نزول هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى: {لمن شاء منكم أن يستقيم} قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} (1)

في تفسير الطبري جعل لهذه الرواية مكانة مركزية في تفسيره، فبنى معنى الآية عليها مباشرة، ورأى أنها نزلت لتنفيذ مقالة المشركين وتأكيد أن إرادة العبد لا تنفك عن مشيئة الله. وعنده تُعدّ الرواية أصلاً في بناء المعنى وليست مجرد شاهد أو تأييد. وهذا يوافق منهجه العام في الاعتماد على الآثار في بيان المراد من النص. م<sup>2</sup>.

أما الماتريدي والرازي فقد اتجه تفسيرهما منحي كلامياً بعيداً عن الرواية. فالماتريدي فهم الآية في إطار الجدل العقدي حول مسألة أفعال العباد، "أحدهما: أن يحمل على تحقيق المشيئة، ويكون تأويله: أن من أراد الاستقامة على أمر الله - تعالى - أو على

(1) تفسير الماوردي 219/7

<sup>2</sup> تفسير الطبري 264/24

الحق، فهذا الذكر -وهو القرآن- يقيمه على الحق وعلى الأمر، ويهديه إلى ذلك. أو أن يكون هذا على تحقيق الفعل؛ فيكون معناه: من استقام منكم على الحق والأمر فهو ذكر له. والأصل أن المشيئة وصف فعل كل مختار، وإذا كان هكذا، صارت المشيئة مقترنة بالفعل، فإذا فعل فقد شاء؛ فكان في إثبات الفعل إثبات المشيئة؛ لذلك استقام حمله على ما ذكرنا، وهو أن يجعل أحدهما كناية عن الآخر<sup>1</sup> ورأى أن العبد لا يشاء الاستقامة إلا إذا شاءها الله، وردّ بذلك على المعتزلة. والرازي بدوره أقام تفسيره على براهين عقلية ومنطقية، فأثبت أن وجود أفعال العباد وعدمها موقوفان على مشيئة الله، وإلا للزم استقلال إرادة العبد وهو باطل عنده. وكلاهما لم يُشر إلى رواية النزول، مما يكشف انتقال التفسير من الاعتماد على الرواية إلى التركيز على الجدل الكلامي والمنطق العقلي.

وفيما نقله أبو حيان من أقوال ابن عطية والزمخشري يظهر مسلك آخر. فابن عطية بيّن أن تخصيص أهل الاستقامة بالذكر فيه تشريف لهم وتنبية، ثم أضاف أن كسب العبد لا يتحقق إلا بخلق الله للإيمان في قلبه، وبعد ذلك أورد رواية أبي جهل باعتبارها شاهداً مؤيداً. فالرواية عنده ليست منشأ المعنى بل وسيلة توضيح. أما الزمخشري فقد أهمل الرواية تماماً وفسر الآية وفق مذهبه الاعتزالي مؤكداً على حرية الإرادة الإنسانية.

والألوسي جمع بين الاتجاهين؛ فقد أقام أولاً تفسيره على التحليل النحوي والبلاغي مطبلاً في بيان وجوه الإعراب والمعنى، ثم ساق الرواية بعد ذلك كدليل يعزز ما ذهب إليه. فوظيفة الرواية عنده ليست تأسيس المعنى وإنما تأييده وإسناده بالشاهد النقلي،<sup>2</sup> وهو كما ترى قوله سبحانه لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ بَدَلٌ مِنَ الْعَالَمِينَ بَدَلٌ بَعْضٌ مِنْ كُلِّ وَبَدَلٌ.... فتأمل جميع ذلك والله تعالى الهادي لأوضح المسالك<sup>2</sup>

أما ابن عاشور فقد عرض عن الرواية تماماً، وفسر الآية تفسيراً أسلوبياً وسياقياً، مبيناً أن الآية جملة تذييلية أو اعتراضية، وقرنها بآية سورة الإنسان التي تشابهها في اللفظ والمعنى. ورأى أن وصف الله هنا بـ {رَبِّ الْعَالَمِينَ} أدق في بيان ارتباط مشيئة العباد بمشيئة الله، وربط ذلك بمقاصد السورة وبالإطار العام للخطاب القرآني. فهو يقدم تفسيراً يقوم على وحدة السياق والاعتبارات البلاغية أكثر من اعتماده على الروايات.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن رواية النزول كانت عند الطبري أصلاً في فهم الآية، ثم تحولت عند ابن عطية والألوسي إلى شاهد يؤيد المعنى بعد استنباطه، بينما عند الماتريدي والرازي والزمخشري وابن عاشور لم يكن لها أي حضور. وهذا يعكس مساراً تاريخياً في التفسير؛ حيث انتقل الاهتمام من التفسير الروائي إلى التفسير الكلامي والتحليل النحوي والبلاغي ثم إلى التفسير السياقي المقاصدي. ويرجع هذا التحول إلى عوامل عدة: بروز علم الكلام واشتداد الحاجة إلى الدفاع عن العقيدة، تطور علوم اللغة والبيان، ثم زيادة التحفظ من الروايات وميل المفسرين إلى قراءة السورة في بنيتها الكاملة وعدم الاكتفاء

(1) تفسير الماتريدي 441/10

(2) تفسير الألوسي 266/14

بأسباب النزول الجزئية. وهكذا نلاحظ أن التفسير قد شهد انتقالاً من الاعتماد على الرواية في تأسيس المعنى إلى توظيفها كتأييد أو الاستغناء عنها بالتحليل العقلي والبلاغي والسياقي.

في تفسير القرطبي: "وفرطت القدرية لما رأوا أن هدايتهم إلى الايمان معذوق بمشيئة العباد، فقالوا: الخلق خالقون لأفعالهم، التفاتاً منهم إلى قوله تعالى: "لمن شاء منكم أن يستقيم" [التكوير: 28]. ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد، وهو مذهب بين مذهبي المجبرة والقدرية، وخير الأمور أوسطها. وذلك أن أهل الحق قالوا: نحن نفرق بين ما اضطررنا إليه وبين ما اخترناه، وهو أننا ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته وإرادته ولا مقرونة بقدرته، وبين حركة الاختيار إذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش، ومن لا يفرق بين الحركتين: حركة الارتعاش وحركة الاختيار، وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وإدراك حاسته- فهو معتوه في عقله ومختل في حسه، وخارج من حزب العقلاء. وهذا هو الحق المبين، وهو طريق بين طريقي الافراط والتقريط كلا طرفي قصد الأمور ذميم<sup>(1)</sup>:

فالآيتان مبطلتان لقول الطائفتين فإن قال الجبري هو سبحانه لم يقل إن الفعل واقع بمشيئة العبد بل أخبر أن الاستقامة تحصل عند المشيئة ونحن قائلون بذلك وقال القدري قوله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} مختلفة فمشيئة العبد هي الموجبة للفعل التي بها يقع ومشيئة الله لفعله هو أمره بذلك ونحن لا ننكر ذلك

### المبحث الخامس

2. 5. دراسة أسباب الدُّرول في سورة الانفطار.

تُعد سورة الانفطار من السور المكية بلا خلاف عند أهل العلم، وهي 19 آية في جميع العدد باتفاق، وسميت بثلاثة أسماء، بسورة الانفطار، وسورة انفطرت، وبسورة المنفطرة، أي السماء المنفطرة<sup>(2)</sup>.

تحمل السورة في طياتها تصويراً مهيباً لأحداث يوم القيامة، حيث تتحدث عن تغيرات كونية عظيمة، مثل انشفاق السماء واضطراب الكواكب، واقتلاعها من مواقعها، وانفجار البحار وانفلات مياهها، بحيث تختفي الحدود بينها. كما تصف السورة كيف تُبعثر القبور ويخرج منها الموتى وقد ذُبت فيهم الحياة من جديد، ليوажها مرحلة الحساب والجزاء، حيث يُكافأ أهل الخير، ويعاقب أهل الباطل وفق عدل الله المطلق<sup>(3)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الانفطار:

(1) تفسير القرطبي 1/97

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص169، والألوسي، تفسير الألوسي، ج30/ص62، والواحدي، التفسير الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ج4/ص478.

(3) ينظر: أبو حفص ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ص337، وصديق حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن، المطبعة العصرية، بيروت، ط1، 1992، ج15/ص223.

لم أقف على سبب نزول لهذه السورة الكريمة كغيرها من السور القرآنية الأخرى، ولكن ما ورد بشأنها من أسباب النزول يتعلق ببعض الآيات القرآنية منها، ولكن بتتبع ما ذكره أهل العلم من المفسرين حول بيان المراد من لفظة "الانفطار" تبين لي اختلافهم في تحديد المراد من ذلك إلى عدة أقوال، وذلك على النحو التالي:

**القول الأول:** أن المراد بالانفطار هو: الانشقاق، وقد ذكر هذا القول الطبري، والزجاج، والماتريدي، والرازي، والقرطبي<sup>(1)</sup>.

**القول الثاني:** أن المراد بالانفطار هو: الانفتاح، والمعنى هنا انفتحت بغمام أبيض يخرج منها، وهو قول الخلوتي<sup>(2)</sup>.

**القول الثالث:** أن المراد بالانفطار هو: انتثرت وتساقطت، والمعنى هنا انتثرت وتساقطت متفرقة، وهو قول المراغي في تفسيره<sup>(3)</sup>.

وقد رجَّح الطبري ما ذكره أهل العلم في المراد بالانفطار، فقال: **يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار: 1]: انشَقَّتْ**<sup>(4)</sup>.

أما ما ورد من أسباب نزول في سورة الانفطار فقدت ورد رواية عن ابن أبي حاتم بسند عن عكرمة في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)**، [الانفطار: 6] قال: أنها نزلت في شخص أبي بن خلف<sup>(5)</sup>.

في تفسير "نزلت في كلداء بن أسيد حيث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بقوسه فلم يعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك حمزة فأسلم حمية لذلك ثم أراد أن يعود كلداء لضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم حمزة يومئذ. »

ويقال نزلت في جميع الكفار ما عرك يعني: ما خدعك حين كفرت بربك الكريم المتجاوز لمن تاب الذي خلَقَكَ من النطفة فسوّاك يعني: فسوى خلَقَكَ فعَدَلَك يعني: خلَقَكَ معتدل القامة في أي صورة ما شاء ركبك يعني: شبهك بأي صورة شاء إن شاء بالوالد وإن شاء بالوالدة<sup>(6)</sup>

وقد روي عن عكرمة أنها نزلت في أبي بن خلف، وجاء في روايات أخرى أنها في الوليد بن المغيرة، أو كلداء بن أسيد، أو الأسود بن شريق. وهذا التعدد لا يفهم على أنه تعارض أو تناقض، بل هو من باب اختلاف التمثيل، إذ إن عادة الصحابة - كما أشار السيوطي - أن يقولوا "نزلت في فلان" يقصدون أن هذا الشخص داخل في عموم الخطاب والحكم، لا أن الآية مخصوصة

(1) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج4/ 174، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج5، ص295، والماتريدي، تفسير الماتريدي، ج8/ ص465، والقرطبي، تفسير القرطبي، ج19/ 244.  
(2) ينظر: الخلوتي، روح البيان، ج10/ 375.  
(3) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، ج30/ 63.  
(4) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج4/ 174.  
(5) العك خالد عبد الرحمن، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، دار المعرفة، لبنان، 1998م، ص389.  
(6) تفسير السمرقندي 3/ 555

به وحده. وبهذا يظهر أن هذه الروايات لا تحصر المعنى في شخص بعينه، بل تجسّد النمط أو النموذج الإنساني الذي تشير إليه الآية، وهو الإنسان الذي اغترّ بربه حتى جحد النعمة أو أنكر البعث.

أما عند الطبري، فقد وجّه الخطاب إلى *الإنسان الكافر*، واعتبر أن الذي غرّه إنما هو العدو المسلط عليه، أي الشيطان، مستشهداً بقول قتادة. فهو يفسر الآية تفسيراً عاماً، ويجعل الغرور ناشئاً من وسوسة الشيطان، ولا يركّز على رواية النزول الخاصة بأبيّ أو غيره. وهكذا اعتمد الطبري في توضيح المعنى على روايات السلف من الصحابة والتابعين، فجعل "الغرور" مرتبطاً بالعدو الخارجي لا بشخصية معينة<sup>1</sup>.

وأما الماتريدي، فقد تناول الآية من زاوية لغوية وكلامية، فبيّن أن معنى الغرور هو أن حلم الله وكرمه في تأخير العقوبة حمل الإنسان على المعصية وأوقعه في الغفلة، إذ ظن أن تأخير العقوبة معناه أنه لن يعاقب أبداً. وقد أورد رواية في نزولها في كعدة بن أسيد الجمحي، لكنه لم يقطع بها، بل قال: لو صح أنها نزلت فيه، فالخطاب يعمّ جميع الناس. وبذلك يجعل الرواية مجرد مثال يُذكر في باب التوضيح، دون أن تكون مخصّصة للمعنى أو حاكمة عليه.

أما الزمخشري، فقد أعرض عن روايات النزول كلياً، واتجه إلى بيان المعنى بالتحليل البلاغي والعقلي. فقد تساءل: كيف ينهى عن الاغترار ويصف الله نفسه بالكرم، مع أن الإنسان لا يغتر إلا بالكرم؟ ثم أجاب بأن الواجب على الإنسان ألا يغترّ بتكريم الله له وخلقه إياه وتسويته، وألا يجعل هذا التكريم ذريعةً للغفلة عن الطاعة. واستشهد بأقوال النبي ﷺ: "غرّه جهله"، ويقول عمر رضي الله عنه: "غرّه حمقه وجهله"، ويقول الحسن البصري: "غرّه شيطانه الخبيث"، ويقول الفضيل بن عياض: "غرّنتني ستورك المرخاة". فهنا نجد أن التفسير عند الزمخشري لم يُبن على الرواية الخاصة بسبب النزول، وإنما على أقوال الصحابة والتابعين والزهاد التي توضّح طبيعة الغرور.

وأما الرازي فقد جمع بين الرواية والتحليل العقلي. فقد ذكر عن ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وعن الكلبى ومقاتل أنها في كعدة بن أسيد، ثم عقّب قائلاً: *خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ*. ومن هنا انتقل إلى بحث عقلي مطوّل: كيف يجمع بين وصف الله بالكرم وبين إنكار الاغترار به؟ ثم ذكر أجوبة متعددة، منها أن حلم الله وتأخيره للعقوبة بسطّ لزمّن التوبة وليس دليلاً على عدم الحساب، وأن الكرم يوجب الخوف لا الاطمئنان، وأن كثرة الكرم تستدعي الحياء والاجتهاد لا الغفلة. كما أورد أقوال قتادة والحسن ومقاتل والفضيل بن عياض في تفسير الغرور. فالرواية عنده مذكورة، لكن الأساس عنده هو البيان الكلامي والعقلي<sup>2</sup>.

والماوردي ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه إشارة إلى كل كافر. الثاني: أنه أبي بن خلف، قاله عكرمة. الثالث: أنه أبو الأشد بن كعدة بن أسد الجمحي، قاله ابن عباس. وفي الذي غرّه قولان: أحدهما: عدوه الشيطان، قاله قتادة. الثاني: جهله، وهو قول عمر بن

تفسير الطبري جامع البيان - 177<sup>1</sup>/24

( ) تفسير الرزاي 74<sup>2</sup>/31

الخطاب ويحتمل قولاً ثالثاً: إنه إمهاله. (الكريم) الذي يتجاوز ويصفح<sup>1</sup> والألوسي بدوره جمع الروايات والآثار. فقد نقل عن قتادة أن الغرور سببه العدو المسلط، أي الشيطان، وروى أن النبي ﷺ قال: "عَرَّه جهله"، وأن عمر رضي الله عنه قال مثل ذلك، ونقل عن عكرمة أنها نزلت في أبي بن خلف. لكنه في النهاية رجَّح أن الخطاب عام، يشمل الكافر والعاصي على السواء. فالروايات عنده شواهد توضح جوانب المعنى، لكنها ليست هي الأساس المحدد للتفسير.

وأما ابن عاشور فقد أورد جملة الروايات: في الوليد بن المغيرة، وفي أبي بن خلف، وفي أبي الأشد بن كلدة، وفي الأسود بن شريق. ولكنه رأى أن المخاطب هو منكر البعث من المشركين، وأن الاستفهام في قوله: بما عَرَّك للإِنْكار والتعجب، أي لا شيء ينبغي أن يعرَّ الإنسان فيدفعه إلى الشرك وإنكار البعث. واعتبر أن ذكر هذه الأسماء إنما هو من باب التمثيل؛ إذ الآية في أصلها تعالج ظاهرة عامة هي ظاهرة الشرك والاعتزاز بالله.

ومن خلال استقراء هذه التفاسير يظهر لنا أن وظيفة الرواية في تفسير هذه الآية قد تطورت عبر العصور. فعند الطبري كان الاعتماد على الرواية واضحاً، وإن كان تركيزه على قول السلف أكثر من رواية النزول الخاصة. وعند الماتريدي صارت الرواية احتمالاً مذكوراً ضمن وجوه متعددة. وعند الزمخشري أهملت الرواية تماماً لصالح التحليل البلاغي وأقوال الزهاد. وعند الرازي ذُكرت الروايات لكن جرى تعميمها مع إعلاء شأن البرهان العقلي. وعند الألوسي وُظفت الروايات كشواهد جزئية. وعند ابن عاشور تحوّلت الروايات إلى مجرد أمثلة تاريخية لنموذج إنساني أشمل.

وبذلك نخلص إلى أن روايات النزول في هذه الآية لم تكن دائماً أصلاً حاكماً على التفسير، وإنما لعبت دوراً مكتملاً أو مفسراً أو ممثلاً. أما جوهر المعنى فقد أصبح يُبنى أكثر فأكثر على التحليل العقلي والبلاغي والسياقي. وتبقى فائدة الرواية أنها تجسّد لنا ملامح الغرور الذي حذرت منه الآية في شخصيات تاريخية من المشركين، بينما الخطاب القرآني في حقيقته موجه إلى كل إنسان قد ينساق وراء الغرور فيغفل عن ربه الكريم.

## المبحث السادس

2. 6. دراسة أسباب الدُّرور في سورة المطففين.

سورة المطففين تُعد السورة 83 من بين سور القرآن الكريم، نزلت بعد سورة العنكبوت، وقبل البقرة، ويبلغ عدد آياتها ستاً وثلاثون آية، وهي من بين السور المختلف في كونها مكّيّة أو مدنيّة، وقد رجَّح أهل العلم إلى أن سورة المطففين بين مكية مدنية، وهو قول عند جابر بن زيد وقول عند ابن السائب<sup>(2)</sup>.

( تفسير الماوردي 7/ 222<sup>1</sup>

(2) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج30/ص188.

وهذا القول استحسنة الطاهر بن عاشور، وقد ذكر سبب اختياره لهذا القول، معللاً ذكر بسبب ما كان منتشرًا من تطفيفًا في الكيل والميزان في المدينة، فأراد الله - سبحانه وتعالى - تطهير أهلها من التطفيف ومن الفساد الاقتصادي الذي حلَّ بهم، خاصة قبل بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - (1).

وقد ذكر ذلك محمد بن كعب القرظي حيث قال: "كان في المدينة تجار يمارسون التطفيف في الكيل والميزان، وكانت معاملات البيع بينهم أشبه بالمرهنة، إذ تضمنت أساليب مثل المنابذة والملاسة والمخاطرة، التي يغيب فيها الوضوح والعدالة في البيع. فنزلت الآية الكريمة: "ويل للمطففين"، لتوبيخ هذا السلوك غير العادل. وعندها خرج النبي ﷺ إلى السوق، فقرأ الآية على الناس، لتأكيد خطورة التلاعب في الميزان والتنبيه إلى ضرورة العدل في التعاملات التجارية" (2).

وسورة المطففين تعرف بسورة "ويل للمطففين"، وكذلك بسورة التطفيف، حيث بدأت هذه السورة الكريمة بمطلع مخيف ترتعد له الفرائض، وهو وعيد المطففين بالعذاب الشديد، وإعلان الحرب عليهم، وذلك لأنهم طففوا في الكيل والميزان (3).

وقد اشتملت السورة على العديد من القضايا المهمة، والمقاصد الجليلة، منها أنها ذكرت صور من يوم القيامة، وصورت يوم قيام الساعة، ثم بعد ذلك تناولت خلق الإنسان، وبينت حياته في الدنيا من تعب وكد في تحصيل أسباب الرزق، ومعاشه، ليقيم لآخرته، ثم بعد ذلك تناولت السورة الكريمة موقف الكافرين والمشركين من بعثة النبي ومن القرآن الكريم، وعن الجحيم الذي ينتظرهم، ثم تعرضت السورة الكريمة لصفة الأبرار والنعيم الذي اعده الله للمؤمنين المتقين، من جنات النعيم، والدرجات العالية، وغير ذلك من القضايا والمقاصد الجليلة التي اشتملت عليها السورة الكريمة (4).

#### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة المطففين:

ذكر الطبري في تفسيره أن سورة المطففين نزلت لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فقد ذكر في تفسيره "يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أحبب الناس كيلاً، فأنزل الله: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: 1] فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ" (5).

لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وجدهم أنهم يطففون الميزان، ولا يحسنون الكيل، فأنزل الله هذه السورة الكريمة (6).

(1) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص188.

(2) الواحدي، أسباب النزول، ص452.

(3) ينظر: الرازي الخطيب، مفاتيح الغيب دار الفكر، لبنان، 604هـ، ج6/ص88-89.

(4) ينظر: الإمام الشوكاني، فتح القدير، دار الطباعة المعرفة، بيروت، ج5/ص398.

(5) الطبري، جامع البيان، ج24/ص186.

(6) الطبري، جامع البيان، ج24/ص186.

في المقابل، ورد عن السدي أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد فيها رجلاً يُدعى أبو جهينة، وكان يملك صاعين، يستخدم أحدهما في الكيل عندما يبيع، والآخر عندما يشتري، بما يوحي بالتحايل في المعاملات التجارية. فنزلت الآية لتنبه الناس إلى ضرورة العدل والصدق في الموازين<sup>(1)</sup>.

يتضح من الروايتين فرق جوهري؛ فالأولى تصف حال أهل المدينة عند قدوم النبي إليهم -صلى الله عليه وسلم-، ووصف حالهم بأنهم لا يحسنون الكيل والميزان. ولهذا اختلف المفسرون: فبعضهم، كالطبري وابن كثير، وآخرون، كمجاهد وابن عادل، بالقرآن، اعتمادًا على الرواية الثانية المنقولة عن السدي<sup>(2)</sup>.

يتبين من ذلك أن بعض روايات أسباب النزول تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، بينما لا يكون لها في حالات أخرى سوى طابع توضيحي للسياق العام. والاختلاف في التأويل بين المفسرين يرجع إلى الفروق الدقيقة بين الروايات المعتمدة.

وقد تفرّع عن هذه الروايات اتجاهان تفسيريّان مختلفان عند المفسرين. الاتجاه الأول يمثله الطبري وابن كثير، حيث ذكرا أن سبب نزول السورة الكريمة قدوم النبي إلى المدينة -صلى الله عليه وسلم-، ووصف حالهم بأنهم لا يحسنون الكيل والميزان. وبهذا اعتمد الطبري في تفسيره على سياق الآيات التالية في السورة، وكذلك على آيات أخرى مشابهة في القرآن، ما يعني أنه قدّم السياق الداخلي للنص القرآني على روايات سبب النزول، بل فسّر الرواية في ضوء السياق وليس العكس.

وسلك ابن كثير نفس المسار التفسيري، إذ قال في تفسيره: " وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً"<sup>(3)</sup>.

يُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لم تكن عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. فقد قدّم الطبري وابن كثير السياق القرآني والآيات المماثلة على رواية السبب، ثم حملوا الرواية معنى يتوافق مع السياق. ووفقًا لما ورد من روايات في هذه السورة، نفهم أن سبب نزول السورة حال أهل المدينة قبل البعثة، فقد كان أهل المدينة في ذلك الوقت من أخبث الناس كيدًا، فأراد الله -سبحانه وتعالى- أن يظهرهم من ذلك، وأن يحصل أحوالهم الاقتصادية، فقد بين الروايات أنه كان بالمدينة تجار يُطْفِقون، كانت أساليب البيع عند بعض تجار المدينة أشبه بالمراهنات، حيث اعتمدوا على طرق غير عادلة مثل المنازعة والملازمة والمخاطرة، مما أدى إلى وقوع الغبن في المعاملات التجارية. فأنزل الله سبحانه وتعالى سورة "المطففين"، محذّرًا فيها من هذا السلوك ومؤكّدًا على ضرورة تحقيق العدل في الكيل والميزان. وبعد نزولها، خرج النبي ﷺ إلى السوق، وتلاها على التجار ليبين لهم خطورة هذا النوع من المعاملات، وليحثهم على الالتزام بالإنصاف والصدق في تعاملاتهم<sup>(4)</sup>.

(1) عبد الرحمن العك، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، ص388.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8/306-308.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8/343.

(4) بنظر: الواحدي، أسباب النزول، الواحدي، ص452.

من خلال هذه الرواية، يتضح أنها تقدم تفسيراً دقيقاً للآية والسياق الذي نزلت فيه السورة، حيث يُروى أنها نزلت بسبب رجل اشتهر بالتطيف في البيع والشراء. وقد أشار السدي إلى ذلك بقوله إن النبي ﷺ حين قدم المدينة، وجد فيها رجلاً يدعى أبو جهينة، كان يستخدم مكيالين مختلفين، أحدهما عند البيع والآخر عند الشراء، بما يُظهر تلاعبه في الميزان. فجاءت هذه الآية لتصحيح هذا السلوك، وسعيًا للقضاء على الفساد الاقتصادي الذي كان منتشرًا آنذاك، وليكون السوق قائمًا على العدل والإنصاف (1).

وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة لها تأثير كبير، وبشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. وذلك من خلال المراد بالمطففين، ومن هم، ولماذا نزلت هذه السورة آياتها التي قضت على الفساد الاقتصادي عامة في المدينة، عند بعثته عليه الصلاة والسلام.

كما تُشير النصوص القرآنية إلى أن المطففين هم الذين توعدهم الله بالويل، معلناً الحرب عليهم في الدنيا قبل الآخرة، وذلك لما ارتكبه من ظلم واستغلال. وتوضح الروايات المتعلقة بسبب نزول هذه السورة أن هؤلاء لم يكونوا مجرد أفراد يمارسون الغش في الكيل والميزان، بل كانوا من كبار أصحاب النفوذ، الذين فرضوا هيمنتهم على الناس، مستغلين سلطتهم لجني المكاسب على حساب الآخرين. كانوا يستوفون المكيال والميزان استيفاءً قسرياً، لا استحقاقاً، مما جعلهم في موضع التحذير الإلهي، وبيّن خطورة فسادهم على المجتمع (2).

فهل التطيف سببُ النزول، أو سياق القرآن بعمومه تناول أحوال المطففين؟، الظاهر الأول لوجهين (3):

الوجه الأول: أن الله بدأ السورة بتهديدهم ووعيدهم، ولولا أهميته ما بدأ الله به إذ الشأن أن يُبدأ بالأهم فالأهم.

الوجه الثاني: أنه جاء في الحديث أنهم كانوا أخبث الناس كيلاً وهذا يستدعي المبادرة في المعالجة.

ولعل هذا سبب قول ابن عباس: أنها نزلت على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ساعة نزل المدينة.

## المبحث السابع

### 2. 7. دراسة أسباب الدُّرول في سورة الطارق

سورة الطارق مكية باتفاق العلماء، وعدد آياتها 17، نزلت بعد البلد، وقبل القمر، وهي السورة 36 في النزول، أمّا في رقمها في المصحف فهي السورة 86، وسُميت بسورة الطارق في كتب التفسير وكتب السنة، وذلك لوقوع هذا اللفظ في أولها (4).

(1) ينظر: الحسن ابن مسعود، البغوي معالم التنزيل، دار طيبة، ط4، 1998م، ج8/ ص358.

(2) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، مج 26-30، ص 3854.

(3) خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، 1427هـ-2006م، ج2، ص 1075.

(4) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج10/ ص3415، الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج10/ ص177.

وقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من القضايا المهمة، والمقاصد الجليلة، منها إثبات البعث والمعاد، وصدق القرآن، وكما أنّ مقاصد السور المكية هي تدور حول هذه القضايا التي هي معاهد الملة وأصول الإيمان، وإثبات وحدانية الله -سبحانه وتعالى- وإثبات المعاد، وصدق النبي -صلى الله عليه وسلم- وصدق ما جاء به من القرآن، وهي قضايا بعضها متصل ببعض، وبعضها أخذ برقاب بعض، فمن آمن بالله -سبحانه وتعالى- آمن بما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- وصدق بالبعث، ومن كان مُصدّقاً بالبعث فإنه قطعاً مؤمن بالله -سبحانه وتعالى- ومصدق للرسول فموضوع السورة الكريمة هو إثبات المعاد، وإثبات صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم<sup>(1)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الطارق:

لم أقف على سبب نزول لهذه السورة الكريمة كغيرها من السور القرآنية الأخرى، ولكن ما ورد بشأنها من أسباب النزول يتعلق ببعض الآيات القرآنية منها، أمّا ما ورد من أسباب نزول في سورة الطارق فقدت وردت رواية عن ابن أبي حاتم عن عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيُنْظَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، أن هذه الآية نزلت في رجل يُدعى أبي الأشر، الذي كان يتحدى أهل قريش بوقوفه على الأديم، قائلاً: "يا معشر قريش، من استطاع أن يزحزحي عنه فله كذا". وكان يستهزئ بالتحذيرات النبوية، مدعيًا أن حراس جهنم، الذين قال النبي ﷺ إن عددهم تسعة عشر، لا يشكلون تهديدًا له، إذ زعم أنه قادر على التصدي لعشرة منهم بمفرده، وطالب قومه بمواجهة التسعة الآخرين. فجاءت هذه الآية لتذكير الإنسان بأصله وضعفه أمام قدرة الله المطلقة<sup>(2)</sup>.

ووفقاً لهذه الرواية، نفهم أنّ سبب نزول السورة الكريمة بيان عظمة الله -سبحانه وتعالى- وقدرته على خلق الإنسان وهياً به أسباب العيش على الأرض لعبادته، وسخر له الكون لخدمته، تذكيراً له بنعم الله عليه، وتوجيهً له بالتأمل والتفكير في ضعفه ومم خلقه؟، وإعمال الفكر في ملكوت السماوات والأرض مما يستشعر بها قدرة الله وقوته، ومن ثمّ وجوب الانصياع لما أمر به، والابتعاد عما نهى عنه، فإن لم يكن ذلك وقع عذابه وغضبه على المعاندين المستكبرين عن آياته<sup>(3)</sup>.

تشير هذه الرواية إلى سياق نزول السورة، حيث يُروى أن أبا طالب جاء إلى النبي ﷺ، وقدم له خبراً ولبناً. وبينما كانا يتناولان الطعام، هوى نجم من السماء، فامتلاً بالماء ثم تحول إلى نار، مما أثار فزع أبي طالب، فسأل النبي ﷺ عن هذا الأمر. فأجابته النبي ﷺ بأن هذا النجم قد رُمي به، وهو إحدى آيات الله سبحانه وتعالى الدالة على قدرته. فتعجب أبو طالب مما رأى، فنزلت الآية التي افتتحت السورة بقول الله تعالى: "والسما والطارق"، مؤكدة على عظمة قدرة الله في خلقه وتدبيره<sup>(4)</sup>.

تُساهم هذه الرواية بشكل واضح في توضيح المعنى المقصود بالطارق، وتكشف عن دلالة السورة وأهدافها. فقد جاءت آياتها لتؤكد قدرة الله سبحانه وتعالى على إحياء الإنسان بعد موته، وإظهار دلائل البعث والحساب. كما تضمنت السورة مشاهد

(1) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج 24/ ص 288، وتفسير ابن أبي حاتم، ج 10/ ص 3415.

(2) الطبري، تفسير الطبري، ج 30/ ص 91-92.

(3) ينظر: الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج 10/ ص 177.

(4) ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج 5/ ص 238.

يوم القيامة التي تفضح المستور، وتكشف الأسرار الخفية، مُشددة على أن الإنسان في ذلك اليوم يقف وحيداً بلا ناصر أو معين، فلا ملجأ له إلا رحمة الله وعفوه.

إلى جانب أن الروايات الواردة في شأن أبي الأشر وقصة أبي طالب ذُكرت في بعض كتب التفسير كابن أبي حاتم والثعلبي والبيهقي، بينما لم يذكرها كبار المفسرين مثل الطبري والزمخشري والرازي والماتريدي وابن عاشور. والسبب المحتمل لذلك أن هذه الروايات ليست قوية من حيث الإسناد، أو أن نصوصها غريبة، أو أن المفسرين رأوا أنها لا تضيف معنى بيتاً إلى سياق الآية. ولذلك اكتفى هؤلاء المفسرون ببيان اللفظ والسياق في تفسير الآية من غير الحاجة إلى ذكر الرواية. وهذا يدل على أن الرواية قد تستعمل عند بعض المفسرين لتوضيح المعنى وتجسيده، بينما يُعرض عنها آخرون إذا لم يروا لها أثراً مباشراً في بيان المقصود.

### المبحث الثامن

#### 2. 8. دراسة أسباب النُزول في سورة الأعلى

سورة الأعلى من بين السور القرآنية التي عرفت بالعديد من الأسماء، منها سورة الأعلى وهو الاسم الذي كتب بالمصاحف، وأغلب كتب التفسير، وكذلك عرفت باسم سورة سبح اسم ربك الأعلى، وهو الاسم الذي ورد بالسنة في أحاديث كثيرة، وبسورة سبح، وهو الاسم الذي ورد في كلام الصحابة، كعائشة وابن عباس -رضى الله عنهم-، وهذا الاسم هو اجتهادي من الصحابة، ولم يثبت على تسمية السورة باسم سبح<sup>(1)</sup>.

**كذلك وقد اختلف أهل العلم في مكان نزول السورة على قولين، وذلك على النحو التالي:**

**القول الأول:** ذهب الجمهور إلى أن السورة الكريمة مكية، روى عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- أن أول من قدم إلى المدينة من أصحاب النبي ﷺ كان مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم، فباشرا تعليم الناس القرآن الكريم. ثم تبعهم عمار بن ياسر، وبلال بن رباح، وسعد بن أبي وقاص، وبعدهم جاء عمر بن الخطاب ومعه عشرون رجلاً. ولم تمض فترة حتى دخل النبي ﷺ المدينة، فعمّت الفرحة أرجاءها، ورأى البراء الأطفال والنساء يهتفون بقدمه، قائلين: "هذا رسول الله قد جاء". ولم يكن النبي ﷺ قد وصل حتى كان البراء قد قرأ سورة الأعلى وغيرها من السور المشابهة<sup>(2)</sup>.

**القول الثاني:** ذهب الضحاك إلى أن السورة الكريمة مدنية، وقد استدلت أصحاب هذا القول بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ في قوله "تزكي" المقصود بها هنا زكاة الفطر، والصلاة، وصلاة العيد، وهاتان لم تفرضوا إلا في المدينة<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: مجاهد، تفسير مجاهد، ج1/ص722، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر بيروت، ط1، 1998، ج8/ص479.

(2) ناصر الدين، الألباني، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 2002، ج3/ص316.

(3) ينظر: الإمام الشوكاني، فتح القدير ج5/ص513، السعدي، تفسير السعدي، ج1/ص921.

كذلك وقد اختلف أهل العلم في ترتيب نزول سورة الأعلى، فهي السورة الثامنة المعدودة في ترتيب النزول، وقيل السابعة، وقبل سورة الأعلى سورة التكويد وبعدها أي سورة الأعلى سورة الليل، وأما ترتيبها بالمصحف فقبلها سورة الطارق وبعدها سورة الغاشية، وهي السورة السابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، وعدد آياتها تسع عشرة آية باتفاق أهل العلم<sup>(1)</sup>.

تتناول السورة الكريمة جملة من القضايا الجوهرية والمقاصد السامية، إذ تسلط الضوء على ذات الله - سبحانه وتعالى - وصفاته وأسمائه الحسنی، كما تبرز نعمته على خلقه، من حيث الإيجاد والتسوية والتقدير، وهدايتهم إلى ما يصلح شؤونهم. كذلك تستعرض السورة خصائص الرسالة الإلهية، وطريقة نزولها على النبي ﷺ، إلى جانب التوجيهات الربانية له فيما يخص دوره في تبليغها وأداء رسالته على الوجه الأكمل<sup>(2)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الأعلى:

لم أقف على أحاديث صحيحة صريحة في سبب نزول سورة الأعلى، وما ورد من أحاديث في سبب نزولها هو ما بين الحديث الضعيف والموضوع، بل إن العديد من المصادر والمراجع التي اقتصت بدراسة أسباب النزول والتعليق عليها لم تذكر لسورة الأعلى أية أسباب نزول سواء ضعيفة أو صحيحة، وقد ذكر السيوطي في كتابه لباب النقول في أسباب النزول أن ما ذكره الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ، حين كان يتلقى الوحي من جبريل، كان يسارع إلى ترديد أول ما يسمعه قبل أن يتم جبريل تبليغ الرسالة، خشية أن ينسى شيئاً منها. فأنزل الله هذه الآية، ليطمئنه ويؤكد له أن حفظ الوحي وضبطه إنما هو بتيسير الله وإرادته<sup>(3)</sup>.

ذكره السيوطي في " ونسبه لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي. وقال: وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير؛ قال: أنزلت سورة {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ( )} بمكة<sup>4</sup>، و في تفسير "التحرير والتنوير وسماها أكثر المفسرين وكتاب المصاحف «سورة الأعلى» لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها. وهي مكية في قول الجمهور وحديث البراء بن عازب الذي ذكرناه آنفا يدل عليه، وعن ابن عمر وابن عباس أن قوله تعالى: قد أفلح من تركى وذكر اسم ربه فصلى [الأعلى: 14 - 15] نزل في صلاة العيد وصدقة الفطر، أي فهما مدينتان فتكون السورة بعضها مكي وبعضها مدني. وعن الضحاك أن السورة كلها مدينة<sup>(5)</sup>

(1) ينظر: الإمام الشوكاني، فتح القدير ج/5 ص513، الإمام السعدي، تفسير السعدي، ج/1 ص925.  
(2) ينظر: الألوسي، تفسير الألوسي، ج/30 ص101، والتعليق، تفسير الثعلبي، ج/4 ص404، الإمام الرازي، تفسير الرازي، ج/30 ص106.  
(3) حسن خان، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، ص 389.  
(4) الدر المنثور " (8/ 478)

(5) التحرير والتنوير 271/30

وبناءً على هذه الرواية، يمكن فهم أن نزول السورة جاء لترسيخ تنزيه الله - سبحانه وتعالى- عن أي نقص أو صفة لا تليق بجلاله، وإثبات علوه وفوقيته كما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دون إحاطة أو كيفية أو تمثيل أو تشبيه، إذ يُعد هذا الاعتقاد من الأصول الراسخة في العقيدة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

كذلك يلاحظ أنَّ الرواية الواردة في شأن أنَّ الرواية الواردة جاءت في "حفظ الوحي وضبطه إنما هو بتيسير الله" وإرادته لم تُذكر في كتب التفسير القرآنية، والسبب المحتمل لذلك أن هذه الرواية ليست قوية من حيث الإسناد، أو أن نصوصها غريبة، أو أن المفسرين رأوا أنها لا تضيف معنى بيّناً إلى سياق الآية. ولذلك اكتفى هؤلاء المفسرون ببيان اللفظ والسياق في تفسير الآية من غير الحاجة إلى ذكر روايات عن أسباب النزول في هذه السورة الكريمة.

عند دراسة الروايات المتعلقة بسبب نزول سورة الأعلى، يظهر أنها لم ترد بأسانيد قوية وصحيحة، وإنما ما ورد فيها يدور بين الضعيف والموضوع. فقد ذكر السيوطي في *لباب النقول* ما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يسابق جبريل في التلاوة خشية أن ينسى شيئاً من الوحي، فأُنزل الله هذه الآيات ليطمئننه ويؤكد له أن حفظ الوحي وضبطه بيد الله سبحانه. غير أن السيوطي علق على هذه الرواية بأنها ضعيفة جداً، ولذلك لم يذكرها كثير من المفسرين في كتب التفسير، ورأوا أن بيان اللفظ والسياق كافٍ في فهم الآية.

ومن الروايات المهمة أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال *بَلَّغْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نَقُولُ فِي سَجُودِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1)»؛ فَأَمَرْنَا أَنْ نَقُولَ فِي سَجُودِنَا: «سَبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى».* وهذه الرواية تُظهر بوضوح أن الآية الكريمة لم تكن مجرد توجيه عام بالتنسيخ، بل تحولت مباشرة إلى ممارسة عملية داخل الصلاة. فالنبي ﷺ ربط بين مضمون الآية وأحد أركان العبادة الكبرى وهو السجود، مما جعل الآية تؤسس لذكر مخصوص في موضع مخصوص، يردده المسلمون في عبادتهم اليومية. وهنا يتجلى الارتباط بين النص القرآني وبين الحياة التعبدية للمؤمنين، حيث انتقلت دلالة الآية من التنزيه العام إلى صيغة عملية متكررة تمثل الامتثال المباشر للأمر الإلهي.

وقد تعامل المفسرون مع هذه الروايات بطرق متعددة: فالإمام الطبري أوردها لبيان أن الصحابة والتابعين كانوا يفهمون من الآية معنى التعظيم والتنزيه، ويجسدونه بالقول: «سبحان ربي الأعلى». ومن خلال ذلك فسّر الطبري الآية باعتبارها أمراً بتعظيم اسم الله وتنزيهه عما نسبه إليه المشركون. وفي هذا السياق تبدو الرواية عن أبي هريرة رضي الله عنه دليلاً عملياً على هذا الفهم، إذ جسدت الامتثال لهذا الأمر عبر السجود.

أما الزمخشري فقد ركّز على أن المقصود من التنسيخ هو تنزيه الأسماء الإلهية عن كل معنى لا يليق بها كالتشبيه والجبر، واستشهد بالرواية النبوية التي ربطت بين الآية وبين صيغة الذكر في الركوع والسجود. وهنا يظهر كيف أن الرواية لم تُستعمل فقط في تحديد معنى اللفظ، بل كذلك في بيان التطبيق الشرعي له داخل العبادة. فالآية عند الزمخشري ليست مجرد خطاب عقدي، بل خطاب عبادي له امتداد عملي في الصلاة.

(1) ينظر: الألويسي، تفسير الألويسي، ج30/ص101، والتعلبي، تفسير التعلبي، ج4/ص404، الإمام الرازي، تفسير الرازي، ج30/ص106.

وأما الألووسي فقد جمع بين الاتجاهين، فنقل الروايات الكثيرة عن النبي ﷺ والصحابة في قولهم «سبحان ربي الأعلى» عند تلاوة الآية أو في السجود، ثم أضاف إلى ذلك التحليل اللغوي والعقدي الذي يوضح أن التسبيح يشمل الذات والأسماء والصفات معاً. ويبيّن أن الأمر القرآني «سَبِّحْ» لا يقتصر على التنزيه النظري، وإنما يتضمن الذكر القلبي واللساني في آن واحد. وهنا تتضح مساهمة الروايات في توجيه المفسرين إلى فهم شمولي يجمع بين الجانب العقدي (تنزيه الله عن كل نقص) والجانب التعبدية (إدخال الذكر في السجود)<sup>1</sup>

وبالنظر في مجمل هذه التفسيرات، يمكن القول إن هذه الروايات – على ضعف بعضها – قد أسهمت في توضيح البعد العملي للآية وربطها بالعبادة اليومية، وخاصة بالصلاة. فهي تثبت أن معنى التسبيح لم يكن مجرد فكرة نظرية، بل تجسد في الذكر المشروع في الركوع والسجود. كما أظهرت أن المفسرين استخدموا هذه الروايات لتقوية المعنى التفسيري من جهات مختلفة؛ فبعضهم أبرز بعدها العقدي في تنزيه الله، وبعضهم ربطها بالجانب العملي التعبدية، وبعضهم جمع بين الاثنين. ومن ثم يتضح أن الآية الأولى من سورة الأعلى، من خلال هذه الروايات، لم تكن خطاباً عاماً فقط، بل تحولت إلى قاعدة عملية أساسية في العبادة، تمثل التقاء الوحي بالتطبيق، والنص بالواقع.

#### الآية السادسة:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي؛ لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يزمل من ثقل الوحي، حتى يتكلم النبي ﷺ بأوله؛ مخافة أن يغشى قلبه فينسى، فقال له جبريل: «لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ؟ قَالَ: مخافة أن أنسى»؛ فأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾.

هذه الرواية تبين صورة من حال النبي ﷺ عند تلقي الوحي، حيث كان يحرص على حفظ ما يسمع حتى قبل أن يتمّ جبريل تبليغ الآيات. وكان يخشى أن يسبق قلبه ضعف أو غفلة فيفلت منه شيء من القرآن. فجاءت الآية الكريمة ﴿سَتَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ مطمئنة له، مؤكدة أن الحفظ والضبط ليسا بجهد الشخصي، بل هما بتيسير الله ورعايته. فهي وعد إلهي قاطع بأن النبي ﷺ لن ينسى ما يُوحى إليه، إلا ما شاء الله رفعه بالنسخ لحكمة يعلمها سبحانه.

المفسرون وجدوا في هذه الرواية مدخلاً لفهم معنى الآية. فالطبري مثلاً أوردها ليبين أن النسيان المقصود في الآية ليس نسياناً مطلقاً، بل هو خاص بما شاء الله رفعه. فالرواية عنده شاهد يوضح أن خوف النبي ﷺ من النسيان كان سبباً لنزول هذه الطمأنينة. ومن هنا جعل الطبري الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ﴾ إشارة إلى الآيات المنسوخة التي أراد الله رفع حكمها وتلاوتها. فاستفاد من الرواية في تقوية هذا التفسير، مع أنه لم يقف عند صحة السند بقدر ما اهتم بدلالاتها المعنوية.

وأما أبو حيان، فقد قرن بين هذه الآية وما ورد في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، وقال إن مضمون الرواية يوضح سبب هذا النهي. فالنبي ﷺ كان يعجل بقراءة الوحي خوفاً من أن ينسى، فجاءت الآياتان معاً لتؤكد أن الله تكفل بجمع

<sup>1</sup> تفسير الألووسي 14/143

القرآن في صدره وضبطه على لسانه. وهنا تظهر وظيفة الرواية عند أبي حيان: ليست مجرد خبر تاريخي، بل مفتاح لبيان حكمة النهي والوعد في الآيتين.

والألوسي أورد هذه الرواية أيضاً، لكنه ركّز على أن مضمونها دليل على عناية الله الخاصة بنبيه ﷺ. فقال إن قوله تعالى ﴿سُنُّرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ آية بيّنة على معجزته، إذ مع كونه أمياً لم يعرف القراءة ولا الكتابة، حُفظ له القرآن كاملاً دون أن يفلت منه شيء. ثم ناقش احتمالات متعددة: هل الجملة خبر على سبيل الوعد، أو نهى على سبيل الترك، أو تأكيد لحفظ المضمون. وفي كل هذه الاحتمالات ظلّت الرواية عنده قرينةً على أن الخوف من النسيان كان واقعاً عند النبي ﷺ، وأن الآية جاءت لرفعه وإزالة أثره.

أما ابن عاشور فقد أعطى الرواية بعداً أوسع، إذ اعتبرها مفسرة لمعنى البشارة في أول السورة ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فقال: إن هذه الآية كانت وعداً للنبي ﷺ بخير عظيم، ثم جاءت ﴿سُنُّرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ بياناً صريحاً لهذا الخير، وهو عصمة النبي ﷺ من النسيان في تبليغ الوحي. وأكد أن هذه السورة من أوائل ما نزل، وأن الرواية المنقولة عن ابن عباس تنسجم مع هذا السياق. فهي تشرح لنا أن النبي ﷺ كان في بداية العهد بالوحي في حاجة إلى طمأنة إلهية، فجاءت هذه الآية لتؤكد أن الحفظ مضمون من الله.

ومن جانب آخر، فإن أهل الحديث نظروا إلى هذه الرواية بميزان النقد الإسنادي. فقد ذكر السيوطي في "الباب النقول" أن في سندها جوبير، وهو ضعيف جداً، ولهذا لا تثبت الرواية عند المحدثين. ومن هنا رأى بعضهم أن الاعتماد عليها غير سليم من الناحية الحديثية. لكن مع ذلك، المفسرون أوردوها في تفاسيرهم، لأنهم لم يتعاملوا معها على أنها حكم شرعي أو أصل عقائدي، بل على أنها تفسير وشرح لمعنى الآية.

ويظهر هنا بوضوح الفرق بين منهج المحدثين والمفسرين: فالمحدث ينظر إلى قوة السند وصحة الرواية، فإذا كان السند ضعيفاً حكم على الرواية بالرد، ولو كان معناها صحيحاً. أما المفسر فقد يقبل الرواية إذا وجدها خادمةً للمعنى القرآني ومؤيدةً لسياقه، حتى لو لم يثبت سندها عند المحدثين. ولهذا نجد مثل هذه الروايات مذكورة في كتب التفسير، مع العلم بضعفها، لكنها استعملت لزيادة البيان وتوضيح المراد.

ومن هنا نفهم أن الآية ﴿سُنُّرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ في ضوء هذه الرواية ليست مجرد وعد بحفظ نص القرآن، بل هي أيضاً طمأنة نفسية للنبي ﷺ في أول عهده بالوحي، بأن الله سيتولى أمره كله، فلا خوف من النسيان ولا من ضياع شيء مما أنزل إليه. وهذه هي القيمة الكبرى لهذه الرواية في التفسير: أنها توضح سبب نزول الوعد وتكشف عن عناية الله برسوله في أصعب لحظات تلقي الرسالة

## المبحث التاسع

### 2. 9. دراسة أسباب الدُّزول في سورة الغاشية

سورة الغاشية من السور المكية ولا خلاف في ذلك عند أهل العلم، وهي ست وعشرون آية، وهي السورة 67 من حيث النزول، نزلت الذاريات وقيل الكهف، وسميت بسورة الغاشية في المصاحف وكتب التفسير لوقوع لفظ الغاشية في أولها، والمراد بها يوم القيامة، فهي تغشى الناس بأهوالها، وتأكيد الإنذار بيوم القيامة<sup>(1)</sup>.

وقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من المقاصد المهمة، من بينها تهويل يوم القيامة وما فيه من العقاب الأليم للكافرين، والنعيم المقيم للمؤمنين، وإثبات البعث والحساب والجزاء بعد الموت، والإنكار على الكفار لعدم إفرادهم الله بالعبادة رغم ما يشاهدونه من عظيم مخلوقاته الدالة على كمال ربوبيته واستحقاقه للعبادة<sup>(2)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الغاشية:

سورة الغاشية كغيرها من السور القرآنية التي لم يرد في شأنها روايات دالة عن سبب نزولها، وما ورد من روايات متعلق بآيات معينة، فقد ورد عن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة أن الله تعالى لما وصف نعيم الجنة وما فيها من فضل وخير، استنكر أهل الضلالة ذلك وتعجبوا من هذه الأوصاف، فجاءت هذه الآية ردًا عليهم، لتؤكد حقيقة النعيم الذي أعده الله لعباده المؤمنين<sup>(3)</sup>.

كذلك "أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة فأنزل الله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"<sup>(4)</sup>.

ووفقًا لهذه الروايات، نفهم أنّ سبب نزول السورة الكريمة بيان تأكيد حتمية البعث بعد الموت، وما أعده الله تعالى يوم القيامة للمكذّبين من العذاب الأليم، وللطائعين من النعيم المقيم، والدعوة إلى التفكير في مخلوقات الله - سبحانه وتعالى - العظيمة التي تحيط بالإنسان من كل جانب من خلق الإبل والسموات والجبال والأرض، والتي تدل على عظمة خالقها تعالى وربوبيته، واستحقاقه للعبادة وحده دون ما سواه، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتذكير والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - وتسليته وتثبيته بعدم الحزن على إعراض الكفار، وعدم إيمانهم، فهو ليس بمتسلط يجبرهم على الإيمان، فمرجعهم إلى الله تعالى وحسابهم عليه تعالى<sup>(5)</sup>.

إلى جانب أنّ الروايات الواردة في شأن حتمية الموت، لم يذكرها أهل العلم من المفسرين مثل الطبري والزمخشري والرازي والماتريدي وابن عاشور. والسبب المحتمل لذلك أن هذه الروايات ليست قوية من حيث الإسناد، أو أن نصوصها غريبة، أو أن المفسرين رأوا أنها لا تضيف معنى بيّنًا إلى سياق الآية. ولذلك اكتفى هؤلاء المفسرون ببيان اللفظ والسياق في

(1) ينظر: الإمام ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج/8 ص376، الإمام الشوكاني، فتح القدير، ج/5 ص520.  
(2) ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج/10 ص460، الإمام ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج/8 ص376، الإمام الشوكاني، فتح القدير، ج/5 ص520.  
(3) حسن خان، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، ص 389.  
(4) السيوطي، لباب النقول، ص 210.  
(5) ينظر: الإمام ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج/8 ص376، الإمام الشوكاني، فتح القدير، ج/5 ص520.

تفسير الآية من غير الحاجة إلى ذكر الرواية. وهذا يدل على أن الرواية قد تستعمل عند بعض المفسرين لتوضيح المعنى وتجسيده، بينما يُعرض عنها آخرون إذا لم يروا لها أثراً مباشراً في بيان المقصود.

يُلاحظ أن الطبري في تفسير هذه الآية قدّم أولاً شرحه الخاص، حيث بيّن أن الله سبحانه يلفت أنظار المنكرين إلى قدرته من خلال التأمل في خلق الإبل والسماء والجبال والأرض، ليدركوا أن القادر على خلق هذه المخلوقات العظيمة قادر كذلك على خلق ما وعد به من نعيم الجنة وعذاب النار بقوله " . ينظرون إلى الإبل، فيعتبرون بها، ويعلمون أن القدرة التي قدر بها على خلقها، لن يعجزه خلق ما شابهها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" <sup>1</sup> ثم أورد رواية قتادة التي تربط نزول الآية بتعجب المشركين من أوصاف الجنة، ليجعل الرواية بمثابة شاهد تاريخي يؤكد تفسيره ويضع الآية في سياقها الجدلي. كما ذكر قول شريح: "اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خلقت"، ليبرز أن الآية دعوة مباشرة إلى الملاحظة والتأمل والاعتبار. وبهذا يتضح أن الطبري لم يورد الرواية على أنها سبب نزول مستقل فقط، بل استعملها لتعضيد تفسيره وإسناد المعنى إلى واقع تاريخي، مؤكداً أن وظيفة هذه الأخبار في التفسير هي تعزيز المعنى القرآني وربطه بسياقه.

عند تفسير الآية الكريمة: **(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)**، يلاحظ القارئ أن الإمام الألويسي يفتتح بيانه بذكر رواية قتادة التي أخرجها عبد بن حميد وغيره، وهي قوله: «لما نعت الله تعالى ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل سبحانه وتعالى: **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** .» واللافت أن الألويسي جعل هذه الرواية مدخلاً لتفسيره، أي أنه لم يوردها في ثنايا الشرح فقط، بل بدأ بها تفسير الآية ليدل على أن سياق الآية مرتبط مباشرة بموقف المشركين واعتراضهم على أوصاف النعيم الأخرى. (2)

هذا المنهج من الألويسي يكشف أن المفسر قد يرى في بعض الروايات – ولو حكم المحدثون بضعفها – فائدة في ربط النص القرآني بالواقع الجدلي الذي نزل فيه. فالمحدثون يركزون على سلامة الإسناد وصحة النقل، بينما المفسر قد ينظر إلى مدى انسجام الرواية مع سياق الآية ومع وظيفتها في الجدل القرآني. من هنا يمكن أن نفهم أن الألويسي استعمل هذه الرواية لتقوية دلالة الآية في الرد على المنكرين، حيث تُبرز الآية أنّ من يستغرب نعيم الجنة عليه أن يتأمل في خلق الإبل وما فيها من عجائب، إذ إنّ القدرة التي أبدعت هذه المخلوقات قادرة بلا شك على إيجاد ما هو أعجب في الدار الآخرة.

فالرواية عند الألويسي ليست مجرد خير تاريخي، بل هي أداة توجيهية تساعد على تأكيد المعنى الذي يراه في الآية. وبذلك يكون قد وظّف الرواية – رغم ضعفها من حيث الصناعة الحديثية – كعنصر مفسّر يدعم فكرته عن المقصود من الآية، وهو الرد على إنكار البعث وتسفيه استغراب الكافرين من أوصاف النعيم الأخرى.

( تفسير الطبري جامع البيان 28/ 338<sup>1</sup>

( تفسير الألويسي 14/ 327<sup>2</sup>

## المبحث العاشر

2. 10. دراسة أسباب النزول في سورة الفجر.

سورة الفجر مكية عند جمهور العلماء، ولا خلاف في ذلك بينهم، وهي 30 آية، وقد سميت بالفجر لافتتاحها بقوله تعالى والفجر، وترتيبها التاسعة والثمانون في المصحف الشريف، والعاشرة في ترتيب النزول، فقد نزلت بعد الليل، وقبل الضحى<sup>(1)</sup>. واحتوت على الكثير من المقاصد المهمة، من بينها أنّ عذاب الكافرين لا مهرب منه، كما ضرب الأمثال بالأمم الغابرة مثل عاد وقوم ثمود، وأن النعم الكثيرة ليست دليلاً على إكرام الله له وأيضاً البلاء العبد ليس دليلاً على إهانة الله له<sup>(2)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في هذه السورة:

روى ابن أبي حاتم عن بريدة -رضي الله عنه- أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: 27]، نزل في حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، إشارة إلى مكانته الرفيعة وطمأنينته في الإيمان.

كما جاء في رواية أخرى ذكرها ابن أبي حاتم، وابن الجوزي، والقرطبي، وابن عادل، وغيرهم، وهذه الرواية أخرجه ابن أبي حاتم من طريق جويبر -وهو ضعيف جداً- عن الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "من يشتري بئر رومة ليكون ماءها حلالاً للناس، غفر الله له"، فاشتراها عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، ثم عرض أن يجعلها سقاية عامة. فقبل ذلك، فنزلت الآية تخليداً لهذا العمل المبارك، الذي يعكس طمأنينته وسخاءه في خدمة المسلمين<sup>(3)</sup>.

تُوضح هذه الروايات أنّ السورة الكريمة جاءت لعرض قصص بعض الأمم السابقة التي عاندت رسل الله وكذبتهم، مثل عاد وثمود وقوم فرعون، وذلك لتقديم العبرة من مصيرهم المحتوم، حيث حلّ بهم العذاب بسبب طغيانهم واستكبارهم. كما تُسلط السورة الضوء على حقيقة الابتلاء في الحياة، سواء بالخير أو بالشر، بالغنى أو بالفقر، مُبيّنة طبيعة الإنسان في تعلقه بالمال. وتؤكد أن وفرة النعم ليست بالضرورة علامة على رضا الله وإكرامه لعبده، كما أن الفقر وضيق العيش لا يعنيان إهانة الله للإنسان، بل هما جزء من اختبارات الحياة التي تُكشف من خلالها حقيقة الإيمان والصبر<sup>(4)</sup>.

فالمتمأل في هذه الروايات يلاحظ أنّها تُوضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية، وكذلك السياق الذي نزلت فيه هذه السورة تحديداً، فالسورة الكريمة بيّنت أقسام الناس بين فئة شقية وفئة سعيدة، ومن ثمّ الإخبار عن ظفر السعداء بالنعيم العظيم في جنان الله -سبحانه وتعالى- وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة لها تأثير كبير، وبشكل مباشر على فهم السورة أو الآية<sup>(5)</sup>.

إلى جانب أنّ الروايات الواردة في شأن نزول هذه الآية الكريمة سواء كانت نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، أو في شأن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وشراء بئر رومة، لم يذكرها أهل العلم من المفسرين مثل الطبري

(1) ينظر: حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج15/ص223.

(2) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ص337.

(3) عبد الرحمن العك، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، ص390.

(4) ينظر: الإمام الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج10/ص191، حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج15/ص223.

(5) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ص337، حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج15/ص223.

والزمخشري والرازي والماتريدي وابن عاشور. والسبب المحتمل لذلك أن هذه الرواية ليست قوية من حيث الإسناد، أو أن نصوصها غريبة، أو أن المفسرين رأوا أنها لا تضيف معنى بيّناً إلى سياق الآية. بالإضافة إلى أن هذه الرواية أخرجها ابن أبي حاتم من طريق جويبر وهو ضعيف جداً.

إن الصحابة رضي الله عنهم لم يحصروا آيات القرآن في سياق النزول وحده، بل كانوا يربطونها بالأحداث الواقعة والأشخاص والأحوال الجديدة. وفي هذا السياق تكررت عندهم عبارات مثل: "نزلت في" أو "أريد بها"، وهذه العبارات لا تدل دائماً على أن الآية نزلت في تلك اللحظة بعينها، بل كثيراً ما تعني تطبيق المعنى القرآني على واقعة أو شخص لاحق. ومن هنا، فقولهم: "نزلت في فلان" هو في الحقيقة نوع من التفسير بالتمثيل والتطبيق لا من باب تحديد سبب النزول بمعناه الاصطلاحي.

ومن أمثلة ذلك ربط قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧] إمّا بحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في مقام الشهادة، أو بعثمان بن عفان رضي الله عنه عند شرائه بئر رومة وبذلها للمسلمين "أنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه حين اشترى بئر رومة وجعلها سقاية للناس، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وقيل نزلت في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة".<sup>1</sup> فالصحابية هنا لم يقصدوا أن الآية نزلت آنذاك، وإنما رأوا أن معنى "النفس المطمئنة" ينطبق على حال حمزة في ثباته وشهادته، أو على فعل عثمان في سخائه وطمأنينته. وبذلك جعلوا من الآية مرآة تعكس صفات هؤلاء الأعلام.

وكذلك ما رواه الطبري أن الآية قرئت عند النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: "إن هذا لحسن"، فقال رسول الله ﷺ: «أما إن الملك سيقولها لك عند الموت». فهذا أيضاً من قبيل تطبيق المعنى على شخص بعينه في موقف خاص، لا من قبيل بيان نزول جديد.<sup>2</sup>

ومن هنا نستطيع القول إن هذه الروايات تمثل منهج الصحابة في التفسير؛ فقد كانوا يربطون ألفاظ القرآن ومعانيه بما يعايشونه من أحداث وأحوال، فيجعلون الآية أكثر حياةً وملازمةً للواقع. أما المفسرون المتأخرون فغالباً اكتفوا بنقل هذه الروايات دون تعليق، لكن دلالتها واضحة، فهي تكشف عن بعدٍ تطبيقي للآية في نظر الصحابة، وعن فهمهم المرن الذي يجعل المعنى القرآني ممتداً وقابلاً لأن يُستحضر في مواقف متعددة

## المبحث الحادي عشر

1. 11. دراسة أسباب الدُّزول في سورة الليل

(1) تفسير الألوسي 348 / 14

(2) تفسير الطبري جامع البيان 424<sup>2</sup> / 24

سورة الليل من أوائل السور من حيث النزول، وهي مكية بإجمال أهل العلم، ويبلغ عدد آيات سورة الليل إحدى وعشرون آية، وتُعد هذه السورة التاسعة في الترتيب من بين نزول السور الكريمة، وهو قول ابن عباس، ومن الروايات التي وردت في بيان أنّ هذه السورة من السور المكية ما ورد عن ابن عباس أنّه قال: نزلت سورة (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ)، [الليل: 1]، بمكة، وورد مثله عن ابن الزبير<sup>(1)</sup>.

وقد سميت هذه السورة بهذا الاسم -سورة الليل- وذلك لأنها افتتحت بإقسام الله تعالى بالليل إذا يغشى، وجاء في تفسير طاهر ابن عاشور قوله: "هذه السورة في أغلب التفاسير سميت سورة الليل، أي دون حرف الواو، أما عند الإمام البخاري والإمام الترمذي فسميت سورة "والليل إذا يغشى"<sup>(2)</sup>.

اتفق معظم العلماء على أن هذه السورة مكية، إلا أن هناك من ذهب إلى القول بأنها مدنية، بينما رأى آخرون أن جزءاً منها نزل في مكة والجزء الآخر في المدينة. وقد نقل ابن عطية عن المهدي بعض الآراء التي تشير إلى أنها مدنية أو أن بعض آياتها مدنية. كما ورد أنها نزلت في قصة أبي الدرداء الأنصاري، الذي اشتري نخلة كانت ملكاً لأحد المنافقين، بعد أن منع الأيتام من الاستفادة من ثمرها، فوهبها لهم. ومع ذلك، فقد أجمعت غالبية أهل العلم على أن هذه السورة مكية خالصة، دون أي خلاف معتبر في هذا الشأن<sup>(3)</sup>.

تتناول السورة الكريمة مقاصد جوهرية، من بينها تقسيم الناس في الحياة إلى فريقين: فريق وفقه الله إلى طريق الخير واليسر، وهم الذين يجودون بأموالهم لمن يستحقها، ويؤمنون بوعد الله في تعويض من أنفق ابتغاء وجهه. في المقابل، هناك فريق اختار طريق العسر والمشقة، وهم الذين امتنعوا عن الإنفاق، وانغمسوا في الشهوات، وكذبوا بوعد الله في الجزاء الأخروي. كما تؤكد السورة أن مصير كل فريق في الآخرة سيكون انعكاساً لأعماله، فإما أن ينعم في الجنة، وإما أن يقاسي العذاب في النار، جزاءً لما قدمه في الدنيا<sup>(4)</sup>.

#### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الليل:

في حديث طويل أورده الواحدي حول أسباب النزول، وكذلك أورده ابن أبي حاتم، وابن الجوزي، وابن كثير، والسيوطي ما رواه حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رجلاً كان يملك نخلة تمتد أغصانها داخل دار رجل فقير يعول أسرته، وكان كلما جاء صاحب النخلة ليحني ثمارها، تساقط بعضها داخل الدار، فيلتقطها أطفال الرجل الفقير. لكن صاحب النخلة كان ينزل إليهم وينتزع التمرة من أيديهم، بل كان يُخرجها حتى من أفواههم إن وجدوها.

(1) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 198، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30/ ص 377.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30/ ص 380.

(3) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5 / ص 490.

(4) ينظر: البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (ص 198).

فذهب الرجل الفقير إلى النبي ﷺ يشتكي سوء معاملة صاحب النخلة، فطلب منه النبي ﷺ أن يعود إليه. وعندما لقيه، عرض عليه النبي ﷺ أن يمنحه نخلة في الجنة مقابل أن يهب تلك النخلة للرجل الفقير، لكنه رفض ذلك لتمسكه بها رغم امتلاكه العديد من النخيل.

سمع أحد الصحابة حديث النبي ﷺ، فسأل إن كان له أن ينال ذات الجزاء إن استطاع الحصول على النخلة، فأجابه النبي ﷺ بالإيجاب. فذهب الصحابي إلى صاحب النخلة وطلب شراءها، لكنه فوجئ بأن الرجل يطلب مقابلها أربعين نخلة، وهو أمر بدا مبالغاً فيه، لكنه وافق ودفع الثمن، وأشهد على ذلك جمعاً من الناس.

وبعد أن ملكها، ذهب بها إلى النبي ﷺ، فقال له: "يا رسول الله، لقد صارت النخلة لي، وهي الآن لك"، فانتقل النبي ﷺ إلى الرجل الفقير وقال له: "النخلة لك ولعيالك". فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: 1-4] (1).

تُوضح هذه الرواية أنَّ السورة الكريمة جاءت لعرض وبيان العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، وذلك لتقديم العبرة والعظة (2).

فالتأمل في هذه الرواية يلاحظ أنَّها تُوضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية، وكذلك السياق الذي نزلت فيه هذه السورة تحديداً، إلى جانب أنَّ الرواية الواردة في شأن نزول هذه الآية الكريمة وهو شراء النخلة والتصديق بها في الدنيا، وبيان جزاء الإحسان والإنفاق في سبيل الله، لم يذكرها أهل العلم من المفسرين مثل الطبري والزمخشري والرازي والماتريدي وابن عاشور. والسبب المحتمل لذلك أن هذه الرواية ليست قوية من حيث الإسناد، أو أن نصوصها غريبة، أو أن المفسرين رأوا أنها لا تضيف معنى يبيِّن إلى سياق الآية. بالإضافة إلى أنَّ هذه الرواية أخرجها ابن أبي حاتم من طريق جويبر وهو ضعيف جداً.

ففي سورة الليل، أقسم الله - سبحانه وتعالى - بعدد من المظاهر الكونية التي تعكس اختلاف سعي البشر وتنوع طرقهم في الحياة. فابتدأ بالقسم بالليل، حيث تلجأ الكائنات الحية إلى أماكنها للراحة والسكون، وينعم الإنسان بنوم يمنحه استعادة نشاطه، ثم أقسم بالنهار، حيث تنطلق الطيور من أعشاشها، وتخرج الدواب من مكانها، ويبدأ الناس في السعي لتحصيل أرزاقهم والقيام بأعمالهم اليومية.

ثم جاء القسم بالقدرة الإلهية المطلقة التي أوجدت الذكر والأنثى، وميزت بينهما رغم أنهما خُلقا من نفس المادة، ونشأ في ذات المحيط. وفي هذا إشارة إلى علم الله التام وقدرته العظيمة في الخلق والتقدير (3).

استناداً إلى هذه الرواية، يتضح أنها تقدم تفسيراً دقيقاً للموضوع الذي تتناوله الآية. ومن خلال سياق السورة، يمكن استنتاج أنها نزلت في شأن أبي الدحداح الأنصاري (4).

(1) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص 454-455.

(2) ينظر: الإمام الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج 10/ص 191، حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج 15/ص 223.

(3) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، ج 30/ص 174-175.

(4) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ص 490.

(إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)) وردت فيها روايات تشير إلى أنها نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. فقد ذكر الطبري عن قتادة أن أبا بكر كان يشترى الرقيق ويعتقهم لوجه الله تعالى، لا يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً، وإنما يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى. وقد ارتبطت هذه الروايات خصوصاً بعق بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما، فكانت تجسيدا عملياً لمعنى الآية التي تقرر أن من ينفق ماله لا يفعله إلا لابتغاء مرضاة الله<sup>1</sup>. والطبري بعد أن فصل في البنية اللغوية للآية ووجوه الإعراب فيها، أورد هذه الرواية وكأنها شاهد عملي على ما قرره من معنى، فهي لا تضيف عنصراً نحوياً أو بيانياً، لكنها تُظهر كيف تجلى مضمون الآية في واقع الصحابة، فتعزز بذلك المعنى العام.

أما الألوسي فقد توسع في بيان الوجوه النحوية والقراءات الممكنة للآية، ثم أورد الروايات التي تربطها بأبي بكر الصديق، وجعل منها دليلاً واضحاً على أن مضمون الآية تحقق فيه أتم التحقق. وأكد أن هذه الرواية أبرزت المعنى المقصود من الإخلاص والإنفاق لوجه الله وحده، بقوله "وكذا اختلف في سبب نزولها فالجمهور على أنها نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وروي ذلك بأسانيد صحيحة عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وقال السدي إنها نزلت في أبي الدرداء الأنصاري وذلك أنه كان في دار منافق نخلة يقع منها في دار يتامى في جواره بعض بلح فيأخذه منهم<sup>2</sup>" حتى جعلها الألوسي حجة في مناقشة من قال من الشيعة إن الآية نزلت في علي رضي الله عنه. وهذا يدل على أن الرواية لم تُذكر عنده على سبيل الحكاية فحسب، بل استعملت لتثبيت المعنى الشرعي وللاحتجاج على مسائل الخلاف.

ومن مجموع ذلك يتبين أن المحدثين وإن ضعفوا هذه الروايات من جهة الإسناد، فإن المفسرين لم يعرضوا عنها، بل أدرجوها في تفاسيرهم باعتبارها شواهد عملية على مدلول الآيات. فالطبري قدّم أولاً المعنى العام للآية، ثم أتى بالرواية وكأنه يستشهد بها على صحة ما قرره. أما الألوسي فقد جعلها في قلب تفسيره للآية، وربطها مباشرة بواقع أبي بكر وفضيلته. وهذا يوضح أن روايات أسباب النزول وإن لم تضيف تفصيلاً نحوياً، إلا أنها أضافت بعداً تاريخياً وأخلاقياً يثري التفسير، ويجعل الآية أوضح ارتباطاً بالواقع وأعمق أثراً في الفهم والعمل.

## المبحث الثاني عشر

2. 12. دراسة أسباب الدُّزول في سورة الضحى.

تُعد سورة الضحى من السور المكية، ولا خلاف في ذلك بين الرواة، ويبلغ عدد آياتها (11 آية)، ويقع ترتيبها (93) في المصحف الشريف، وقد نزلت هذه السورة بعد سورة الفجر<sup>(3)</sup>.

(1) تفسير الطبري جامع البيان 480/24

(2) تفسير الألوسي 370/14

(3) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5/ص493.

وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على بعض المحاور المهمة، حيث يدور محورها حوله عليه الصلاة والسلام، وبما اختصه به عز وجل في الدنيا قبل الآخرة، وذلك كله من أجل أن يشكر الله على تلك النعم العظيمة، وما حباه الله به من لمسة الود والرحمة واللين، لسكب اليقين والطمأنينة على قلب النبي -صلى الله عليه وسلم-<sup>(1)</sup>.

في هذه السورة المباركة، يذكر الله -سبحانه وتعالى- بعضاً من فضله على النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-، تأكيداً لمكانته السامية في نظر قريش، ودحضاً لادعائهم بأن تأخر الوحي دليل على أن الله قد تخلى عنه أو أبغضه. وتتجلى هذه النعم في جوانب أخلاقية وأدبية، بعيداً عن الجوانب المادية أو السلطوية الزائفة. ثم يوجه الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- إلى شكر هذه النعم، ويحثه على الإحسان إلى الأيتام والمحتاجين، ليكون قوة عظيمة للإنسانية، فتقتدي أمته بأخلاقه وتنهج مسيرته<sup>(2)</sup>.

وقد عرفت هذه السورة -سورة الضحى- عند أهل العلم بسورة والضحى بإثبات الواو، وبسورة الضحى بدون الواو، كذلك لم يرد عن الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- خبراً صحيحاً في تسمية سورة الضحى بهذا الاسم<sup>(3)</sup>.

نزلت سورة الضحى في فترة انقطاع الوحي عنه صلى الله عليه وسلم، وهي المرحلة التي استغلها المشركون لنشر الادعاءات الباطلة حول سبب تأخر الوحي. فجاءت هذه السورة المباركة لتفند تلك الشائعات، وتطمئن قلب النبي -عليه الصلاة والسلام- برضى ربه -سبحانه وتعالى- عنه. كما استعرضت بعض النعم الإلهية التي أنعم الله بها عليه، موجهة إياه وأمته من خلاله إلى الاستمرار في التحلي بمكارم الأخلاق، التي تتجلى في رعاية الأيتام، والتحدث بنعم الله وعدم كتمانها، ومد يد العون للمحتاجين.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الضحى:

ذكر الطبري في تفسيره ووافقه بعض أهل العلم من المفسرين أن سورة الضحى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تكذيباً من الله فرئساً في قبيلهم لرسول الله، لما أبطأ عليه الوحي، وقد تعددت الروايات الموضحة لذلك، فذكر الطبري ما جاء عن ابن زيد، في قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}، [الضحى: 3] قَالَ: مَا فَلَاكَ رَبُّكَ وَمَا أَبْغَضَكَ؛ قَالَ: وَالْقَالِي: الْمُبْغِضُ وَذِكْرَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكْذِيبًا مِنَ اللَّهِ فَرِئْسًا فِي قَبِيلِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ، لَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ: قَدْ وَدَّعَ مُحَمَّدًا رَبُّهُ وَقَلَاهُ<sup>(4)</sup>.

يُفهم من سياق هذه الرواية أنها نزلت في حادثة تعيُّب الوحي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو كونه أبطأ في النزول على نبيينا الكريم، فنزل تسلياً له، وتأكيداً له على أن الله -سبحانه وتعالى- لم يغفل عنه، فقال تعالى {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}،

(1) ينظر: سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، ج6/ص3925.

(2) ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر، سوريا، الطبعة الأولى، ج3/ص890.

(3) انظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص393.

(4) الطبري، تفسير الطبري، ج24/484.

[الضحى: 3]، كما ذكر الطبري أنّ السورة عامة نزلت في مناسبة ظن قريش أنّ الوحي لم يعد ينزل على الرسول وكونه أبطأ عن ذي قبل. وقد أيد هذا القول الماتريدي وان فورك والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي<sup>(1)</sup>.

كذلك وقد ورد عن جندب البجلي -رضي الله عنه-؛ قال: احتبس جبريل -عليه السلام- على النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فقالت امرأة من قريش: أبطأ عليه شيطانه؛ فنزلت: {وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)}<sup>(2)</sup>.

وفي رواية أخرى وردت عن زيد بن أرقم -رضي الله عنه-؛ قال: لما نزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)} إلى {وَأْمُرْ أَهْلَهُ حَمَلَةَ الْخَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (5)} [المسد: 4، 5]؛ قال: فقيل لامرأة أبي لهب: إن محمداً قد هجأك؛ فأنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو جالس في الملاء، فقالت: يا محمد! على ما تهجونني؟ قال: فقال: "والله ما هجوتك، ما هجأك إلا الله"، قال: فقالت: هل رأيتني أحمل حطباءً أو رأيت في جيدي حبلأً من مسد، ثم انطلقت فمكث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أياماً لا ينزل عليه؛ فأنته فقالت: يا محمد! ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك؛ فأنزل الله -عز وجل-: {وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)}<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم من أنّ هذه الرواية من الروايات الضعيفة، إلا أنّ هناك بعض أهل العلم من المفسرين من تناولها في تفسيرهم لسورة الضحى، من بينهم السيوطي والمظهري والألوسي<sup>(4)</sup>.

ووفقاً لما ورد من روايات لأسباب نزول هذه السورة الكريمة، نفهم أن الموضوع الذي نزلت هذه السورة من أجله سبب ظن البعض انقطاع الوحي فأنزلت هذه السورة تعريضاً بالمشركين ونفياً لدعواهم.

تُظهر هذه الرواية بشكل واضح المعنى الذي تشير إليه الآيات الكريمة، إذ يتجلى الهدف من سورة الضحى عند إدراك أنها نزلت عقب فترة انقطاع الوحي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهي المرحلة التي استغلها المشركون لنشر الشائعات الكاذبة حول سبب هذا الانقطاع. فجاءت هذه السورة المباركة لردّ هذه الادعاءات، وتثبيت النبي عليه الصلاة والسلام -بطمأنته برضا الله سبحانه عنه. ومن خلال سياق السورة، يتضح أنها تعرض جانباً مهماً من نعم الله عليه، كما توجه أمته عبر شخصه الكريم إلى المواظبة على التحلي بمكارم الأخلاق، التي تشمل رعاية الأيتام، والإحسان إلى المحتاجين، وإظهار نعم الله -سبحانه وتعالى- وعدم كتمانها. لذا، فإن هذه الرواية المنقولة تؤدي دوراً جوهرياً في تعزيز فهم السورة وآياتها الكريمة.

في المقابل هناك رواية أخرى، فقد ذكر البخاري رواية أخرى عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنه- حيث ذكر أن جبريل -عليه السلام- تأخر عن النزول إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فاستغلت إحدى نساء قريش ذلك وقالت مستهزئة: "لقد تأخر عنه شيطانه". فجاءت هذه السورة المباركة ردّاً على تلك الادعاءات، مؤكدة قرب الله من نبيه ورعايته له<sup>(5)</sup>.

(1) الطبري، تفسير الطبري، ج4/487، والماتريدي، تفسير الماتريدي، ج10/557، وابن فورك، تفسير ابن فورك، ج3/236، والثعلبي، تفسير الثعلبي، ج10/223، والواحدي، الوجيز للواحدي، ج1/1210، والسمعاني، تفسير السمعاني، ج6/243، والبغوي، تفسير البغوي، ج8/454.  
(2) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج3/520.  
(3) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج3/522.  
(4) ينظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير، ج8/540، والمظهري، التفسير المظهري، ج10/281.  
(5) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التهجد باب ترك القيام للمريض، ج1/378، حديث رقم، (1073).

وهناك أيضًا رواية ثالثة، فقد ورد في صحيح البخاري أن امرأة قالت للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "يا رسول الله، لا أرى صاحبك إلا قد تأخر عنك"، فأنزل الله تعالى سورة الضحى، تأكيدًا لمحبة الله لنبيه وبيانًا لعدم انقطاع فضله ورحمته عنه<sup>(1)</sup>.

فيستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لم تكن عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. فبينما اتخذ الطبري والماتريدي والواحي والبغوي والسمعاني الرواية منطلقين أوليًا للفهم، قدّم الطبري السياق القرآني لبيان سبب النزول، حيث قدّموا أهل العلم من المفسرين الرواية على السياق في بيان المراد من سورة الضحى، وبيان حادثة نزولها على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

### المبحث الثالث عشر

2. 13. دراسة أسباب الدُّزول في سورة العلق.

العلق هي أول سورة نزلت باتفاق أهل العلم، وقد اشتهرت السورة الكريمة بهذا الاسم، ونقل عن الصحابة -رضوان الله عليهم جميعًا- بالتواتر الكتابي في المصحف الشريف، كذلك وقد ورد هذا الاسم أيضًا في كتب السنة النبوية الشريفة؛ عن جابر -رضي الله عنه- أنه قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري بأصحابه صلاة العشاء، فأطال في القراءة، مما دفع أحد المصلين إلى الانصراف ليصلي بمفرده. وعندما بلغ ذلك الخبر معاذًا، قال عن الرجل: "إنه منافق". فلما علم الرجل بما قيل عنه، ذهب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبره بما قاله معاذ. فرد النبي -عليه الصلاة والسلام- قائلاً: "أتريد أن تكون فتانًا يا معاذ؟ إذا أمّت الناس فاقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، واقرأ باسم ربك" <sup>(2)</sup>.

سورة العلق تختلف في عدد آياتها وفقًا لقراءات أهل المناطق المختلفة. فقد اعتبرها علماء الشام ذات 18 آية، في حين رأى علماء الكوفة والبصرة أن عدد آياتها 19، أما أهل المدينة ومكة فقد عدّوها 20 آية.

ويعود هذا الاختلاف إلى اعتبار أو عدم اعتبار بعض الآيات مستقلة بذاتها. فمثلًا، آية ﴿لَيْلِنُ لَمْ يَنْتَهَى﴾ عدّها علماء المدينة ومكة ضمن تعداد الآيات، بينما لم يعتبرها الباقر آية مستقلة. وبالمثل، فإن آية ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ لم تُعدّ آية منفصلة في قراءة أهل الشام، في حين اعتبرها غيرهم كذلك<sup>(3)</sup>.

وقد أجمع العلماء على أنّ سورة العلق من السور المكية، ولا خلاف في ذلك، وهي السورة السادسة والتسعون من سور القرآن الكريم، حسب ترتيب المصحف<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ما ودعك ربك، ج4/1892، حديث (4951).  
(2) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في الصلاة، ج1/340، حديث رقم، (465).  
(3) ينظر: أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، الكويت، الطبعة الأولى، 1994م، ج1 ص/234.  
(4) ينظر: سيف بن راشد الجابري، مقاصد أسماء سور القرآن الكريم، الإمارات، دار الواضح للنشر وتوزيع الكتب والمطبوعات، ط2، 2011م، ص 345.

عرفت سورة العلق في زمن الصحابة والتابعين باسم "سورة اقرأ باسم ربك"، وذلك لاشتغالها على أولى كلمات الوحي النازل على النبي -صلى الله عليه وسلم-. وقد ورد عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: "أول سورة أنزلت: اقرأ باسم ربك"، كما نقل هذا الاسم عن عدد من التابعين، منهم أبي سلمة بن عبد الرحمن، وأبي رجاء العطاردي، ومجاهد، والزهري. أما في المصاحف وكتب التفسير، فقد اشتهرت باسم "سورة العلق"، وذلك لورود لفظ "العلق" في بدايتها<sup>(1)</sup>.

وقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من المقاصد الجليلة والمهمة، منها بيان حكمة الله في خلق الإنسان، وبيان كرم الله على الإنسان، فقد كرمه، وعلّمه البيان<sup>(2)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة العلق:

اشتملت سورة العلق على بعض روايات أسباب النزول تتعلق ببداية السورة الكريمة، وكذلك تتعلق ببعض آياتها نتيجة أحداث وقعت، فبينتها الآيات القرآنية، فذكر الطبري في تفسيره ما ورد في الحديث عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن أول ما بدأ به الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- كان الرؤيا الصادقة، حيث كان يرى في المنام أمورًا تتحقق بوضوح، مثل فلق الصبح. ثم وجد في نفسه ميلاً للعزلة والتأمل، فكان يقضي ليلالي عدة متحنناً في غار حراء حتى جاءه الوحي لأول مرة، حين ظهر له جبريل -عليه السلام- وأمره بالقراءة. لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- أجابه بأنه ليس بقارئ، فاحتضنه الملك بشدة ثلاث مرات، ثم ألقى عليه أولى آيات القرآن الكريم: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}.

عاد النبي -صلى الله عليه وسلم- من هذه التجربة وهو يرتجف خوفاً، ودخل على خديجة -رضي الله عنها- يطلب أن يُغطي حتى يهدأ. وعندما أخبرها بما حدث، طمأنته وأكدت له أن الله لن يخذله أبداً، فهو معروف بصلة الرحم، ومساعدة المحتاجين، وإكرام الضيف، ونصرة المظلومين. ثم أخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان رجلاً نصرانياً ذا معرفة بالكتب السابقة، فأخبره النبي -عليه الصلاة والسلام- بما رآه، فقال له ورقة: "هذا هو الوحي الذي نزل على موسى"، متوقعاً أن يلقى النبي معارضة شديدة من قومه، لكنه أكد استعداده لنصرته لو أدرك تلك المرحلة<sup>(3)</sup>.

فذكر الطبري هذه الرواية في تفسيره، فذكر ما ورد " عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا أَبْتَدِئُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ؛ كَانَتْ تَجِيءُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَغَارُ جِرَاءً يَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ فَيَنْتَرِدَ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ، فَأَتَاهُ؛ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: " فَجِئْتُ لِرُكْبَتِي وَأَنَا قَائِمٌ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، حَتَّى ذَهَبَ عَنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيْلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَطْرَحَ نَفْسِي مِنْ حَالِقِ مَنْ جَبَلٍ، فَتَمَثَّلَ إِلَيَّ حِينَ هَمَمْتُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنَا جَبْرِيْلُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ قَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1] فَقَرَأْتُ، فَأَنْبِثُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي، فَأَخْبَرْتُهَا

(1) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، بیت الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، 2018 م، التفسير، سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، ج4/ص695، حديث رقم، (3996).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص382.

(3) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ج1/ص4، حديث رقم، (3).

خَبْرِي، فَقَالَتْ: أَبَشِيرٌ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى تَوَائِبِ الْحَقِّ؛ ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِي إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ، قَالَتْ: اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَسَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ، قُلْتُ: أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ لَمْ يَجِئْ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ، إِلَّا عُودِي، وَلَئِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَقْرَأَ: ن. وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ. مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْحُونٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، وَيَأْتِيهَا الْمُدْتَرِّ. ثُمَّ فَأَنْذِرْ، وَالصَّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: ثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ، أَخْبَرَتْهُ وَذَكَرَ، نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ مِنَ الْقُرْآنِ. الْكَلَامُ إِلَى آخِرِهِ<sup>(1)</sup>.

يُفهم مما أورده الطبري في تفسيره من رواية السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنَّ سورة العلق نزلت بشأن حادثة الغار، وبشأن نزول الوحي على النبي -صلى الله عليه وسلم- فهذه السورة هي أول ما نزل من القرآن الكريم، وهو بداية الوحي الكريم على النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ووافق الطبري كل من الثعلبي، ومكي بن أبي طالب، والبغوي، وابن الجوزي، وابن كثير، والسيوطي، والمظهري، والخازن<sup>(2)</sup>.

فرواية السيدة عائشة كان لها أثر في إبراز سياق السورة الكريمة، وفي بيان أثرها عند المفسرين، حيث اعتمدوا عليها في تفسير سورة العلق، وفي بيان ما يتعلق بهذه السورة الكريمة، إلى جانب الروايات الأخرى التي تضمنت بعض الحوادث التي وقعت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- كحادثة أبي جهل، ومحاولته في أن يطان رقبة النبي -صلى الله عليه وسلم- في التراب، وهو يصلي في الكعبة.

أما ما ورد من روايات بشأن آيات معينة لسورة العلق، فذكر الطبري وابن كثير ما ورد "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يَعْقِرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لِأَطَانٍ عَلَى رَقَبَتِهِ وَلَا عِقْرَنَ وَجْهَهُ فِي النَّرَابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجَاهُ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَيَنْفِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَيَقِيلُ لَهُ: مَا لَكَ؟ قَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَأَجْبَحَةً. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ غَضُوءًا غَضُوءًا". قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ -لَا أُدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا-: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"<sup>(3)</sup>.

(1) الطبري، جامع البيان، ج24/ ص528.  
(2) الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج10/ 243، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج12/ 8351، والبغوي، تفسير البغوي، ج5/ 280، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج1/ 12، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج8/ 561، والمظهري، التفسير المظهري، ج10/ 300، والخازن، تفسير الخازن، ج7/ 268.  
(3) الطبري، جامع البيان، ج24/ 526، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/ ص439.

ووافق الطبري وابن كثير كل من ابن أبي حاتم، والثعلبي، ومكي بن أبي طالب، والماوردي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، وابن الجوزي، والعز بن عبد السلام، والسيوطي، والخلوتي، والشوكاني، والطاهر بن عاشور<sup>(1)</sup>.

وفي موضع آخر ذكر الواحدي ما ورد "عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي، فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَلَمْ أَتُكَ عَنْ هَذَا؟ فَأُنْصَرَفَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَزَّه، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ \* سَدَّغَ الرَّبَابِيَةَ﴾، [العلق: 17-18] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتَهُ رَبَابِيَةَ اللَّهِ، قَالَ أَبُو عبيدة، والمبرد: واحد الربانية زبينية، وهو الشديد الأخذ، وأصله من زبنته إذا دفعته"<sup>(2)</sup>.

يتضح من الروايات السابقة فرق جوهرية؛ فالأولى تُبين أن سبب نزول السورة الكريمة موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعبده لله -سبحانه وتعالى- بَعَارِ جِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعُدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، أما الثانية فتُبين سبب نزول آيات معينة، وتوضح موقف أبي جهل وقوله: هَلْ يَعْفَرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟، والرواية الثالثة أيضًا توضح موقف أبو جهل ونهيه للنبي -صلى الله عليه وسلم- وبما يفعله من دعوة الناس إلى الله -سبحانه وتعالى-.

يتبين من ذلك أن بعض روايات أسباب النزول تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، بينما لا يكون لها في حالات أخرى سوى طابع توضيحي للسياق العام. والاختلاف في التأويل بين المفسرين يرجع إلى الفروق الدقيقة بين الروايات المعتمدة، فكل رواية من هذه الروايات تسهم في فهم الآية، وإبراز سياقها التي نزلت فيه، وهذا ما اعتمد عليه المفسرين في السور والآيات القرآنية. فروايات أسباب النزول عند المفسرين هي موقع الحاكم على تفسير الآية، وبيان سياقها القرآني.

## المبحث الرابع عشر

2. 14. دراسة أسباب الذُّزول في سورة القدر

سورة القدر من بين السور المختلف في كونها مكية أم مدنية عند أهل العلم، لأنه عند ابن عباس في رواية وعند الضحاك وعند مقاتل مدنية<sup>(3)</sup>، وعند الثعلبي<sup>(4)</sup> والواقدي<sup>(5)</sup> وقتادة<sup>(6)</sup>. رضي الله عن الجميع.

ومن خلال ما ورد عن أهل العلم في بيان مكان نزول هذه السورة الكريمة يتبين لي أنها مكية، وأن القول بمكية هذه السورة هو قول أكثر أهل العلم من المفسرين، وقد ذكر ذلك الماوردي والسيوطي وابن كثير<sup>(7)</sup>.

(1) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج 10/3450، والثعلبي، وتفسير الثعلبي، ج 10/246، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج 12/8360، والماوردي، تفسير الماوردي، ج 6/307، والواحدي، التفسير الوسيط، ج 4/529، والسمعاني، تفسير السمعي، ج 6/257، والبغوي، تفسير البغوي، ج 5/281، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج 4/467، والعز بن عبد السلام، تفسير العز بن عبد السلام، ج 3/470، وابن جزي الكلبى، تفسير ابن جزي، ج 2/497، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالماثور، ج 8/565.

(2) الواحدي، التفسير الوسيط للواحدى، ج 4/530.

(3) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج 9/181، ، الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج 10/247.

(4) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان ج 10/247.

(5) ينظر: (5) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب ج 4/450، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1/167.

(6) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1/167.

(7) ينظر: النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج 3/53، البيهقي: دلائل النبوة، ج 7/143، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1/57.

اختلف أهل العلم في ترتيب نزول سورة القدر، وذلك بسبب الخلاف حول كونها مكية أو مدنية. فمن قال بأنها مكية يرى أنها السورة الرابعة والعشرون في ترتيب نزول القرآن الكريم، حيث نزلت بعد سورة عبس وقبل سورة الشمس. أما من قال بأنها مدنية، فلم يرد عن العلماء تحديد دقيق لترتيب نزولها ضمن السور الأخرى (1).

أما فيما يخص ترتيبها في المصحف الشريف، فهي تقع في الجزء الثلاثين ضمن سور قصار المفصل، وتحل المرتبة السابعة والتسعين في الترتيب العام للمصحف. وتأتي قبلها سورة العلق، بينما تليها سورة البينة (2).

والمتمأمل الناظر في سورة القدر يلاحظ أنها اشتملت على مقاصد عظيمة، وتناولت موضوعاً مهماً يتمثل في ليلة القدر، فسورة القدر حوت العديد من الفضائل والخصائص، فهي من سور المفصل، وخاصةً من قصار سورته الذي يغلب على سورته الوحدة الموضوعية.

كما تحدثت السورة الكريمة عن أهمية الاجتهاد في إحياء هذه الليلة المباركة، وهي ليلة القدر، فكان محور هذه السورة الكريمة الحديث عن ليلة القدر، والتي تعد ذروة سنام الليالي وتاج الزمن وخير الأيام والليالي كما ورد في شأنها من آيات قرآنية تؤكد وتوضح ذلك (3).

#### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة القدر:

تعددت روايات أسباب النزول في سورة القدر، حيث تدور هذه الروايات إلى مضمون ما ذكره السيوطي، من خلال ما أخرجه "الخطيب في تاريخه عن ابن عباس قال: رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بني أمية على منبره فسأه ذلك فأوحى الله إليه إنما هو ملك يصيبونه ونزلت { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } (4).

وفي موضع آخر جاء عن ابن أبي نجيح، أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل قضى ألف شهر في الجهاد، فدهش المسلمون من طول مدته في سبيل الله. فأنزل الله -عز وجل- سورة القدر، مؤكداً أن ليلة القدر خير من تلك الفترة الطويلة، موضعاً بذلك فضلها وعظيم شأنها في ميزان الأعمال والطاعات (5).

يتضح من الروايات السابقة فرق جوهري؛ كما يتبين من ذلك أن بعض روايات أسباب النزول تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، بينما لا يكون لها في حالات أخرى سوى طابع توضيحي للسياق العام. والاختلاف في التأويل بين المفسرين يرجع إلى الفروق الدقيقة بين الروايات المعتمدة.

(1) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج1/ص38.  
(2) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج9/ص181، أبو الحسن الماوردي، النكت والعيون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م، ج311/6.  
(3) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ج30/ص21-22.  
(4) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج15/ص538.  
(5) عبد الرحمن العك، تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول، ص395.

كما يُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لم تكن عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. ووفقاً لذلك، نفهم أن الموضوع الذي يدور حوله السورة الكريمة هو ليلة القدر، فالمتأمل في الآيات القرآنية في هذه السورة الكريمة يلاحظ أنّ محورها هو الحديث عن ليلة القدر، هذه الليلة التي تعد ذروة سنام الليالي، وتاج الزمن، ومما يدل على عظمة هذه الليلة الكريمة تعدد مسمياتها؛ وذلك لأنّ تعدد الأسماء يدل على شرف المسمى وعلو شأنه.

ومن ثمّ تكشف هذه الروايات بشكل واضح عن الموضوع الذي تتناوله الآية، وهو ليلة القدر، والتي كان المسلمون يتساءلون عنها ويتداولون الحديث حولها. ومن خلال سياق السورة، يتضح أن السؤال الرئيس الذي كان يشغل أذهانهم يتعلّق بهذه الليلة المباركة وفضلها العظيم. أما عن سبب تسميتها بليلة القدر، فقد وردت عدة تفسيرات؛ فقول إنّه سميت بذلك لأن الأعمال الصالحة التي يؤديها المؤمن فيها تكون ذات قيمة ومكانة عند الله - سبحانه وتعالى -، إذ تُقبل فيها الطاعات. وقيل أيضاً إن الإنسان الذي لم يكن ذا شأن قد يصبح ذا قدر إذا أدرك هذه الليلة وأحياها بالعبادة. وهناك تفسير آخر يربط التسمية بنزول كتاب ذو مكانة رفيعة وهو القرآن الكريم، على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي اختاره الله لأمة عظيمة ذات شأن<sup>(1)</sup>.

وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثّر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من الآية أن "القدر" هي خير الليالي وهي خير من ألف شهر، ولأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، وفيها يقضي الله - سبحانه وتعالى - قضاء السنة، وهو مصر قوله قدر الله الشيء قدرًا، وغير ذلك من المعاني العظيمة التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

### المبحث الخامس عشر

#### 2. 15. دراسة أسباب النزول في سورة الزلزلة

سورة الزلزلة تقع في ترتيب المصحف بين سورة البينة وسورة العاديات، وسورة الزلزلة تُعد من أهم السور المكية، التي ناقشت أمر الإيمان بالله وباليوم الآخر الذي هو يوم القيامة، يوم البعث والنشور، ويوم الحساب والجزاء الذي دعت للتصديق والإيمان به جميع شرائع الأنبياء والمرسلين، وتسمى بسورة الزلزلة، وبسورة الزلزال، وبسورة زُلزلت، عرفت هذه السورة بين الصحابة باسم "سورة إذا زلزلت"، بينما وردت تسميتها في العديد من المصاحف وكتب التفسير باسم "سورة الزلزال". ويُقال إن سبب هذه التسمية يعود إلى بدايتها التي تتحدث عن الزلزال العنيف الذي سيحدث قبيل يوم القيامة، مما يعكس مضمون السورة وتحذيرها من أهوال ذلك اليوم العظيم<sup>(2)</sup>.

تُعدّ سورة الزلزلة السورة الرابعة والتسعين من حيث ترتيب نزول السور، وقد نزلت في المدينة المنورة بعد سورة النساء وقبل سورة الحديد. وبما أن سورة النساء نزلت بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فإن نزول سورة الزلزلة يرجّح أنه وقع خلال تلك الفترة الزمنية أيضاً.

(1) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج9/ص182، ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5 / ص505.  
(2) نعمة علوان، الفواتح الإلهية، دار ركابي، مصر، الطبعة: الأولى، 1999 م، ج2/ص524.

أما فيما يتعلق بعدد آياتها، فقد اختلف العلماء حوله؛ فذهب الزمخشري وأبو السعود وابن عاشور إلى أنها تتكون من تسع آيات، في حين رأى الإمام البغوي والرازي والبيضاوي والخازن وأبو حيان والألوسي والقاسمي أنها مؤلفة من ثماني آيات<sup>(1)</sup>.

عند التأمل في سورة الزلزلة، يتضح أنها تتناول قضايا عظيمة ذات صلة بيوم القيامة، حيث تصف الزلزال العنيف الذي سيهز الأرض، فتنهار معالمها، وتخرج الأموات من قبورهم للحساب. كما تبين السورة أن الأرض ستشهد على أعمال البشر، مسجلة كل ما قاموا به خلال حياتهم. ثم تتناول مشهد العرض أمام الله - سبحانه وتعالى- والمحاسبة الدقيقة، حيث يُجازى كل فرد بحسب عمله، لينقسم الناس إلى فريقين: فريق سعيد ينعم بالجنة، وفريق شقي يلقي مصيره في النار<sup>(2)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الزلزلة:

تتعلق روايات أسباب نزول سورة الزلزلة بالإخبار عن رؤية جزاء مثقال الذرة من الخير والشر، فقد ورد عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: بينا أبو بكر الصديق يأكل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ إذ نزلت عليه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾؛ [الزلزلة: 7-8]، فرفع أبو بكر يده من الطعام. وقال: يا رسول الله: إني أجزى بما عملته من مثقال ذرة من شر. فقال: "يا أبا بكر! ما رأيت في الدنيا مما تكره فمناقب ذر الشر، ويُدخر لك الله مثاقيل الخير حتى توفاه يوم القيامة"<sup>(3)</sup>.

وقد ذكر ذلك الطبري في تفسيره ما ورد "عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، كَانَ يَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8] فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَقَالَ: إِنِّي لَرَأَيْتُ مَا عَمِلْتُ، قَالَ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَا تَرَى مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ شَرٍّ كَثِيرٍ، وَيُدْخِرُ اللَّهُ لَكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرٍ حَتَّى تُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَتَصَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]"<sup>(4)</sup>.

وقد وافق الطبري في ذلك كل من ابن أبي حاتم، والثعلبي، وابن عطية، وابن كثير، والسيوطي، والشوكاني، والألوسي<sup>(5)</sup>.

في المقابل، هناك رواية أخرى تُبين أنَّ الآية الكريمة لم تنزل في أبي بكر الصديق، حيث ذكر مقاتل أنَّ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، نزلت بشأن رجلين: أحدهما كان يتردد في إعطاء المحتاجين التمرة أو قطعة الخبز أو الجوزة، معتبراً ذلك قليلاً لا يستحق الأجر، إذ كان يرى أن الثواب يكون على العطاء الذي يحبه الإنسان. أما الآخر، فكان يستخف بالذنوب الصغيرة كالقول الكاذب والغيبة والنظرة العابرة، معتقداً أن العقاب بالنار مرتبط بالكبائر فقط. فجاءت الآية لتشجيع الناس على فعل

(1) نعمة علوان، الفواتح الإلهية، ج2/ص524. المظهر، محمد، التفسير المظهر، ج10/ص321، وأبو بكر، الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة، مكتبة العلوم، ط5، 2003م، ج5/ص603.  
(2) نعمة علوان، الفواتح الإلهية، ج2/ص524. المظهر، محمد، التفسير المظهر، ج10/ص321، وأبو بكر، الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة، مكتبة العلوم، ط5، 2003م، ج5/ص603.  
(3) الهلالي، الاستيعاب في بين الأسباب، ج3/ص547.  
(4) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج24/ص565.  
(5) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج24/ص565، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج10/ص3455، والثعلبي، تفسير الثعلبي، ج10/ص266، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج5/ص512، وابن كثير، تفسير ابن كثير، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمتأثر، ج8/ص593، والشوكاني، ج5/ص586، والخلوتي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج15/ص345.

الخير، مهما كان قليلاً، لأنه ينمو ويزداد، كما حذرت من الاستهانة بالذنوب الصغيرة التي قد تتراكم وتؤدي إلى عواقب عظيمة<sup>(1)</sup>.

يُفهم من الروايات الواردة في سورة الزلزلة أنَّها تختص بآيات معينة، ولم تتناول سبب نزول السورة كلها، وما ورد في شأنها هي روايات تفسيرية، وليست روايات سبب نزول، كما نقل الثعلبي في تفسيره، ما ورد "أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: نزلت إذا زُلزِلَتِ الْأَرْضُ زُلزَالَهَا وأبو بكر الصديق- رضي الله عنه- قاعد فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله (عليه السلام) : «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتني هذه السورة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «والله لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبنون ويغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»<sup>(2)</sup>.

فهذه الرواية هي رواية تفسيرية لسورة الزلزلة، وليس رواية سبب نزول كما ورد في هذه السورة الكريمة، ومن ثمَّ فهناك اتجاهان في أسباب النزول، اتجاه يرى أنَّ قوله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، نزلت بشأن أبي بكر الصديق كان يأكل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- والاتجاه الثاني يرى أنَّها نزلت بشأن رجلين: أحدهما كان يتردد في إعطاء المحتاجين التمرة أو قطعة الخبز أو الجوزة، معتبراً ذلك قليلاً لا يستحق الأجر، إذ كان يرى أن الثواب يكون على العطاء الذي يحبه الإنسان. أما الآخر، فكان يستخف بالذنوب الصغيرة كالقول الكاذب والغيبة والنظرة العابرة، معتقداً أن العقاب بالنار مرتبط بالكبائر فقط. فجاءت الآية لتشجيع الناس على فعل الخير، مهما كان قليلاً، لأنه ينمو ويزداد، كما حذرت من الاستهانة بالذنوب الصغيرة التي قد تتراكم وتؤدي إلى عواقب عظيمة<sup>(3)</sup>.

ووفقاً لذلك، نفهم أن الموضوع الذي يدور حوله أسباب نزول سورة الزلزلة الكريمة هو بيان رؤية جزاء مثقال الذرة من الخير والشر.

## المبحث السادس عشر

2. 16. دراسة أسباب الزُّول في سورة العاديات

سورة العاديات من السور المكية عند جمهور أهل العلم، وسُميت بسورة العاديات لأنَّ الله -سبحانه وتعالى- افتتحها بالقسم بالعاديات، وهي خيل المجاهدين المسرعة في لقاء العدو، وقد قيل أن الله -سبحانه وتعالى- بخيل الغزاة التي تعدو أي تجري نحو العدو، وأصل العاديات بالواو فقلبت ياء لانكسار ما قبلها<sup>(4)</sup>.

اختلف العلماء في موضع نزول سورة العاديات، فقد ذكر السيوطي أن هناك قولين بشأنها. كما ابن عاشور، فقد أشار إلى الاختلاف في هذا الأمر، ومن الذين رجحوا مكيتها الطبري، والرازي، والسيوطي وغيرهم. وتعدَّ سورة العاديات 14 من

(1) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج/9 ص205، ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج/4 ص516.

(2) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، مصر، مكتبة القدسي، ج/10/266، و أبو الحسن الهيثمي، مجمع الزوائد، مصر، مكتبة القدسي، ج/7 ص141.

(3) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ج/9 ص205، ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج/4 ص516.

(4) ينظر: ينظر: أبو الحسن مقاتل، تفسير مقاتل، ج/4 ص799.

حيث النزول وذلك عند جابر بن زيد، حيث نزلت بعد سورة العصر وقبل سورة الكوثر، أما في ترتيب المصحف الشريف، فهي السورة رقم 100، وتقع بين سورتي الزلزلة والقارعة.

عند التأمل في سورة العاديات، نجد أنها تحمل مقاصد عظيمة، وتتناول موضوعاً محورياً يتمثل في تصوير الحرب بين كفار مكة والمسلمين. تبدأ السورة بمشهد يجسد الخيل العادية السريعة، التي تصدر صوتاً قوياً، وتقدح الشرر بحوافرها، ثم تغزو مع الفجر، مثيرة للغبار، ومنقضة على العدو بشكل مفاجئ، مما يزرع الذعر في صفوفه. ثم ينتقل المشهد إلى تصوير ما في النفس البشرية من الجحود والطمع والأنانية، ليعقب ذلك مشهداً آخر عن بعثرة القبور وكشف ما تنطوي عليه القلوب. وفي النهاية، تتلاشى هذه المشاهد كلها، ليعود الأمر كله إلى الله - سبحانه وتعالى.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة العاديات:

تتحدث روايات أسباب نزول سورة العاديات بشأن عدم ورود خبر عن سرية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتي بعثها إلى أحد أحياء كنانة، فانقطع خبرها مدة شهر، فذكر مقاتل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرسل سرية إلى أحد أحياء كنانة، بقيادة المنذر بن عمرو الأنصاري، لكن خبرهم تأخر، مما دفع المنافقين إلى القول بأنهم قد قتلوا جميعاً. فأخبر الله تعالى عنهم، فأنزل العاديات، إشارة إلى تلك الخيل<sup>(1)</sup>.

وفي موضع آخر ذكر ابن كثير في تفسيره ما ورد عن حفص بن جميع أنه نقل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث خيلاً، وظلت تسير لمدة شهر دون أن يأتي خبر عنها، فنزلت العاديات، إشارة إلى صوت أنفاسها المتسارعة أثناء العدو، وتمضي السورة في وصف هذا المشهد حتى نهايتها<sup>(2)</sup>.

يفهم من هذه الرواية سبب نزول سورة العاديات، فبيّن مقاتل بن سليمان ذلك في تفسيره بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث سرية إلى "حنين" من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبي - صلى الله عليه وسلم - خبرها، فأخبره الله - عز وجل - عنها فقال: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» يعني الخيل، وقيل: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الحبر فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من الأنصار أو من المهاجرين تتاجوا يأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمراً عظيماً، فجاءه جبريل - عليه السلام - يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» يقول غدت الخيل إلى الغزوة حتى أصبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب، ثم قال: فَأَلْمُورِيَاتِ قَدْحًا، يقول يقدحن بحوافرهن في الحجارة نارا كنار أبي حباب، وكان شيئاً من مصر في الجاهلية له نويرة نقدح مرة وتخمد مرة لكيلا يمر به ضيف فشبهه الله - عز وجل - ضوء وقع حوافرهن في أرض حصباء بنويرة أبي حباب، وأيضا «فَأَلْمُورِيَاتِ قَدْحًا» قال كانت تصيب حوافرهن الحجارة فتقدح منهن النار، ثم

(1) الإمام القرطبي، تفسير القرطبي، ج 20 / ص 155.

(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 8 / ص 467، والهيثمي، مجمع الزوائد، ج 7 / ص 142، وقال حديث ضعيف.

قال: فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، وذلك أن الخيل صبحت العدو بغارة يقول غارت عليهم صباحاً فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا، يقول فَأَتْرَنَ بجريهن يعني بحوافرهن نقعا في التراب(1).

وبالرجوع إلى أقوال أهل العلم من المفسرين حول لفظة العاديات، وما المقصود منها، من خلال ما ورد بشأنها من روايات أسباب نزول، تبين لي أنها تحمل معنيين، وهما على النحو التالي(2):

**المعنى الأول:** أن المراد بالعاديات هي الإبل في الحج، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي(3).

وقد روي عن علي أنه قال: وَالْعَادِيَاتِ صُبْحًا من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى. وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال هذا في صفة وقعة بدر. قال: وما كان معنا يومئذ إلا فرس. وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسان(4).

**المعنى الثاني:** أن المراد بالعاديات هي الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع، واللغويون. وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سرية، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث خيلاً، فلم يأتيه خبرها شهراً، فنزلت وَالْعَادِيَاتِ صُبْحًا صبحت بمنأخرها فَأَلْمُغِيرَاتِ قَدْحًا قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا صبحت القوم بغارة فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا أثارته بحوافرها التراب فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا قال: صبحت الحي جميعاً(5).

يُستفاد مما سبق أن الرواية لها أثر في إبراز السياق القرآني للآيات القرآنية والسور الكريمة، فسورة العاديات من بين السور القرآنية العديدة التي لجأ أهل العلم من المفسرين على تفسيرها وبيان مقصود الآيات منها إلى ما ورد بشأنها من روايات أسباب النزول، فالروايات هنا تقف موقف الحاكم، وهذا ما نلاحظه من خلال الرجوع لأقوال المفسرين فيها، ويؤكد القرظي ذلك بقوله: "فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ إِخْبَارًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَلَامَتِهَا، وَبِشَارَةِ لَهُ بِإِعَارَتِهَا عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْعَادِيَاتِ الْخَيْلَ، ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَسٌ وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ. وَالْمُرَادُ الْخَيْلَ الَّتِي يَغْزُو عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ. وَفِي الْخَبَرِ: (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حُرْمَةَ فَرَسِ الْغَازِي، فِيهِ شُعْبَةٌ مِنَ النَّفَاقِ). وَقَوْلُ ثَانٍ: أَنَّهَا الْإِبِلُ، قَالَ مُسْلِمٌ: نَزَعْتُ فِيهَا عِكْرَمَةَ فَقَالَ عِكْرَمَةُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هِيَ الْخَيْلُ. وَقُلْتُ: قَالَ عَلِيٌّ هِيَ الْإِبِلُ فِي الْحَجِّ، وَمَوْلَايَ أَعْلَمُ مِنْ مَوْلَاكَ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: تَمَارَى عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْعَادِيَاتِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: هِيَ الْإِبِلُ تَعْدُو فِي الْحَجِّ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الْخَيْلُ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا [العاديات: 4] فَهَلْ تُثَبِّرُ إِلَّا بِحَوَافِرِهَا! وَهَلْ تَصُبِّحُ الْإِبِلُ! فَقَالَ عَلِيٌّ: لَيْسَ كَمَا قُلْتَ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا مَعَنَا إِلَّا فَرَسٌ أَبْلَقٌ لِلْمُقَدَّادِ، وَفَرَسٌ لِمَرْثَدِ بْنِ

(1) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج4/ 480، والقرظي، تفسير القرظي، ج20/ 155، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 457، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3/ 37، والخلوتي، روح البيان، ج10/ 497، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ 502.  
(2) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4/ 480، والقرظي، تفسير القرظي، ج20/ 155، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 457، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3/ 37، والخلوتي، روح البيان، ج10/ 497، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ 502.  
(3) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4/ 480، والقرظي، تفسير القرظي، ج20/ 155، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 457، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3/ 37، والخلوتي، روح البيان، ج10/ 497، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ 502.  
(4) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4/ 480، والقرظي، تفسير القرظي، ج20/ 155، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 457، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3/ 37، والخلوتي، روح البيان، ج10/ 497، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ 502.  
(5) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4/ 480، والقرظي، تفسير القرظي، ج20/ 155، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 457، والسيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3/ 37، والخلوتي، روح البيان، ج10/ 497، والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ 502.

أَبِي مَرْثِدٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَتُنْفِي النَّاسَ بِمَا لَا تَعْلَمُ! وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِأَوَّلِ عَزْوَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَمَا مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ: فَرَسٌ لِلْمَقْدَادِ، وَفَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْعَادِيَاتُ ضَبْحًا! إِنَّمَا الْعَادِيَاتُ الْإِبِلُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُرْدَلِفَةِ، وَمِنْ الْمُرْدَلِفَةِ إِلَى عَرَفَةَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْلِ عَلِيٍّ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَعُيَيْدُ بْنُ غُمَيْرٍ وَمَحْمَدُ بْنُ كَعْبٍ وَالسُّدِّيُّ<sup>(1)</sup>.

فالمعنى التفسيري للآية القرآنية يُستنبط من السياق القرآني العام للآية، فضلاً عن سياقها التاريخي واللغوي أيضاً، وأسباب نزولها، فيُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول كانت عند جميع المفسرين في موقع الحاكم على تفسير الآية. فمن بينهم من قدّم السياق القرآني والآيات المماثلة على رواية السبب، ثم حملوا الرواية معنى يتوافق مع السياق. وبهذا يظهر اختلاف واضح في التعامل مع الرواية: فإما أن تُفهم في ضوء السياق، أو أن يُقدّم السياق بما يفسّر به الرواية ذاتها.

واستناداً إلى ذلك، يمكننا فهم أن سورة العاديات تتناول موضوع السرية التي أرسلها النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث تأخر وصول أخبارها، مما أدى إلى تكهنات المنافقين بأنها قد أُبديت بالكامل. فجاء الوحي ليؤكد المشهد الذي يظهر سرعة الخيل في الجهاد، وانقضاضها على العدو، كما تضمنت السورة دعوة إلى الإعداد للجهاد، سواء بالخيل في الماضي أو بالطائرات النفاثة في العصر الحديث. كما أوضحت حقيقة أن الإنسان يميل إلى نسيان نعم الله عليه ويتذكر المصائب فقط، إلا إذا أمن وعمل صالحاً. كما تناولت السورة غريزة حب الإنسان للثروة والمال، وشجعت على فعل الخير والعمل الصالح الذي يعود بالنفع في الدنيا والآخرة.

ومع ذلك، فإن هذه الرواية تؤكد بوضوح مضمون الآية، حيث تصوّر مشهد الخيل المسرعة، الصادرة عنها أصوات الضبح، القادحة شرراً بحوافرها، المنقضة على العدو في وقت مبكر من الصباح، مثيرة الغبار، ومباغته خصومها لتزرع الذعر بينهم، مما يؤدي إلى اضطراب صفوفهم وفرارهم.

## المبحث السابع عشر

2. 17. دراسة أسباب النزول في سورة التكاثر

التكاثر عُرفت بهذا الاسم في أغلب المصاحف، كما سُميت أيضاً بسورة "ألهاكم"، وهو الاسم الذي استخدمه الإمام البخاري في صحيحه. وتضمّ السورة 8 آيات، ولم يُختلف في عددها بين العلماء، أما ترتيب نزولها، فقد قيل إنها السورة الخامسة عشرة في ترتيب نزول السور القرآنية، حيث نزلت بعد الكوثر وقبل الماعون<sup>(2)</sup>.

كذلك وسورة التكاثر من السور المختلف في كونها مكية أو مدنية، فهي مكية في قول جمهور المفسرين، قال ابن عطية مكية لا أعلم خلافاً فيها، وقال القرطبي مكية في قول الجميع، وروي البخاري أنها مدنية، وقيل مدنية في قول بعض المفسرين<sup>(3)</sup>.

(1) القرطبي، تفسير القرطبي، ج 20/155.

(2) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/577، والواحي، التفسير الوسيط ج 4/548.

(3) ينظر: أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم، ج 3/588.

والمأمل في التكاثر يلاحظ أن السورة احتوت على مقاصد عظيمة، وتناولت موضوعاً مهماً يتمثل في بيان أهوال يوم القيامة، وجزاء السعداء والأشقياء، وفي سورة التكاثر ذكر سبب استحقاق النار وهو الاشتغال بأمور الدنيا، وشهواتها، وملذاتها من جمع للأموال والبنين وغير ذلك عن أمور الآخرة الباقية والذي ينبغي الانشغال بها بدلاً من الدنيا، كما أن في السورة الكريمة التأكيد على أمور عدة من الغيبات وهي أن الموت ويوم القيامة والنار حق وأنها آتية لا محالة، وحينها يسأل الله تعالى العبد عن كل صغيرة وكبيرة قدمها في الدنيا والآخرة<sup>(1)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة التكاثر:

انقسمت الروايات الواردة في أسباب نزول سورة التكاثر إلى اتجاهات مختلفة، تضمن الاتجاه الأول أن المراد من لفظة التكاثر التسابق في جمع المال، ومن هذه الروايات ما يلي:

وقد ذكر ذلك الطبري ذلك في تفسيره، وذلك من خلال ما ورد "عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: كُنَّا نَرَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الْقُرْآنِ: «لَوْ أَنَّ لَأَيُّنَ آدَمَ وَآدِيَيْنِ مِنْ مَالٍ، لَنَمَتَى وَآدِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمَلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا الثَّرَابُ، ثُمَّ يَثُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: {الْهَآكُمُ النَّكَآثُرُ} [التكاثر: 1] إِلَى آخِرِهَا " [ص:600] وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَقَبِ قِرَآءَتِهِ: الْهَآكُمُ لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا كَذَا وَكَذَا، يُبَيِّنُ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَهُ: الْهَآكُمُ النَّكَآثُرُ: الْمَالُ"<sup>(2)</sup>.

يُفْهِمُ مِمَّا ذَكَرَهُ الطَّبْرِي فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ لَفْظَةِ التَّكَآثُرِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ التَّبَاهِي بِالْمَالِ وَالْغِنَى، وَالْمَفَاخِرَةَ بِذَلِكَ، وَالتَّسَابُقَ فِي جَمْعِ الْمَالِ، وَقَدْ وَافَقَ الطَّبْرِي كُلَّ مِنْ مَكِّي بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَالرَّآغِبِ الْأَصْفَهَانِي، وَالسِّيُوطِي، وَالشُّوْكَانِي، وَالْخَلُوتِي، وَالْأَلُوسِي<sup>(3)</sup>.

أَمَّا الْإِتِّجَاهُ الثَّانِي فَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ لَفْظَةِ التَّكَآثُرِ هُوَ الْمَفَاخِرَةُ بِكَثْرَةِ الْآدَمِيِّينَ أَي: الْعَدَدِ، وَمِنْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ مَا يَلِي:

(1) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج24/ ص577.

(2) الطبري، جامع البيان، ج24/ 599.

(3) انظر: الطبري، جامع البيان، ج24/ 599، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج12/ 8416، والراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج1/ 284، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج8/ 610، والشوكاني، فتح القدير، ج2/ 501، والخلوتي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج6/ 46، والألوسي، تفسير الألوسي، ج30/ 323.

وقد بيّن ذلك الطبري في تفسيره، من خلال ما ذكره " عَنْ قَتَادَةَ، {أَلِهَاتِكُمُ النَّكَاتُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرِ} [التكاثر: 2] قَالَ: " كَانُوا يَفُوتُونَ: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، وَنَحْنُ أَعَدُّ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، وَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ يَنْسَاقُطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ، وَاللَّهُ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلُّهُمْ "(1).

يُفهم مما ذكره الطبري في ذلك أنّ المراد من لفظة التكاثر في هذه السورة الكريمة هو التباهي بكثرة العدد والنسب، والمفاخرة بكثرة الأدميين والعدد، وقد وافق الطبري كل من القرطبي، وابن كثير (2).

وتأكيد على هذا الاتجاه، وعلى بيان أنّ سورة التكاثر نزلت بسبب التفاخر في العدد، والمفاخرة بكثرة الأدميين، ما ذكره كل من مقاتل والكلبي وابن أبي حاتم وابن كثير، أن سورة التكاثر نزلت في قبيلتين من قريش، وهما بنو عبد مناف وبنو سهم، حيث نشب بينهما تنافس حول العدد والقوة. فكان الأشراف من الطرفين يتفاخرون بكثرة أعدادهم، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر عزاً وأعظم نفوذاً، فرد عليهم بنو سهم بنفس الادعاء. وعندما تفوق بنو عبد مناف في العدد، قرروا أن يضموا موتاهم في حسابهم، فذهبوا إلى القبور ليحصوا الأموات، فوجدوا أن بني سهم أكثر عدداً في الجاهلية، مما جعلهم يغلبون في هذه المنافسة (3).

فهذه الرواية توضح أنّ السورة الكريمة نزلت قبيلتين من قريش، وهما بنو عبد مناف وبنو سهم، حيث نشب بينهما تنافس حول العدد والقوة، وفي موضع آخر أشار قتادة أن السورة نزلت في اليهود، حيث كانوا يتفاخرون بكثرتهم مقارنة ببعض القبائل، فيقولون: نحن أكثر عدداً من بني فلان، وبنو فلان أكثر من غيرهم، واستمر انشغالهم بهذا التفاخر حتى وافتهم المنية، وماتوا على الضلال (4).

**أما الاتجاه الثالث فقد بيّن أنّ المراد من لفظة التكاثر هو التشكيك في عذاب القبر وفي الحياة الآخرة، ومن هذه الروايات ما يلي:**

وقد ذكر الطبري في تفسيره ما ورد " عن عليّ، قال: ما زلنا نشكّ في عذاب القبر، حتى نزلت: (أَلِهَاتِكُمُ النَّكَاتُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرِ) "(5).

فهذه الرواية تُبين اتجاهاً آخر من اتجاهات أسباب النزول، يتضمن هذا الاتجاه بيان التشكيك في عذاب القبر، فأُنزل الله - سبحانه وتعالى- سورة التكاثر ردّاً على زعمهم، وقد وافق الطبري في ذلك كل من ابن أبي حاتم، والثعلبي، والسمعاني، وابن كثير (6).

---

(1) الطبري، جامع البيان، ج24/589.  
(2) انظر: الطبري، جامع البيان، ج24/599، والقرطبي، تفسير القرطبي، ج20/169، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/451.  
(3) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج10/3459، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/473.  
(4) ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج4/ص521.  
(5) الطبري، جامع البيان، ج24/580.  
(6) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج24/580، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج10/3459، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/473.

يتبين من ذلك أن بعض روايات أسباب النزول تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، بينما لا يكون لها في حالات أخرى سوى طابع توضيحي للسياق العام. والاختلاف في التأويل بين المفسرين يرجع إلى الفروق الدقيقة بين الروايات المعتمدة.

فالخلاف بين روايات أسباب النزول خلاف في التفاخر في جمع المال، وفي المفاخرة بالنسب وكثرة الأدميين، وخلاف في التشكيك في عذاب القبر، كما جاء في الاتجاه الثالث من اتجاهات روايات أسباب النزول لسورة التكاثر الكريمة، فالخلاف حول معنى التكاثر يتمثل في أهو التسابق في كثرة المال أم التفاخر بكثرة الأدميين/العدد؟، وبعد تتبعي لأقوال أهل العلم من المفسرين لاحظت أن الطبري يجمع بين الاتجاهات الواردة في أسباب النزول، فيعرّف التكاثر بأنه كثرة المال والعدد والمباهاة بهما، ثم يذكر الروايات المؤيدة لهذه الاتجاهات.

وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تؤثر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من السورة أن ابتدأت بزم المنشغلين بالحياة الدنيا المتكالبين على جمع حطامها الفاني، حتى تنقضي أعمارهم، ويقطع الموت عليهم متعتهم، فمحور السورة الكريمة هو ذم وتحذير وتوعد المنشغلين بالدنيا الفانية عن الآخرة الباقية، ومن التشكيك في عذاب القبر، والمفاخرة بجمع المال، والكثرة والأدميين والعدد، وغير ذلك من المعاني العظيمة التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

## المبحث الثامن عشر

2. 18. دراسة أسباب النزول في سورة الفيل.

سورة الفيل من السور المكية على قول جمهور العلماء بلا خلاف في ذلك، فهي من سور المفصل، آياتها خمس آيات، وعدد حروفها ستة وتسعون حرفاً وعدد كلماتها عشرون كلمة، ترتيبها في المصحف الخامسة بعد المائة، نزلت بعد سورة الكافرون، وتقع سورة الفيل في الجزء الثلاثين، وهي السورة التاسعة عشرة حسب النزول<sup>(1)</sup>.

وقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من المقاصد الجليلة، فقد حوت السورة الكريمة مجموعة من المقاصد الجليلة منها تعظيم بيت الله الحرام، والتذكير بمكانته، وحرمة، فقد حماه الله تعالى وأمنه من كل من أراد به سوء، وأهلك من قصد هدمه، وتعريض وتنبيه لقريش خاصة بأن هذا البيت له رب يحميه فلا ينبغي أن يعبد فيه غيره، ولا حظ للأوثان المنصوبة حوله، فلا ينبغي لهم الاستمرار في عبادتها، إذ أن أصحاب الفيل كانوا نصارى من أهل الكتاب، ودينهم أقرب إلى الحق مقارنة بدين أهل مكة الذين كانوا يعبدون الأوثان. ومع ذلك، لم يُنجم ذلك من الهلاك بسبب مكرهم وكيدهم. فلا ينبغي لقريش أن يغتروا بما حلّ بأصحاب الفيل، لأن ما وقع لهم كان من أجل إظهار مكانة بيت الله وتعظيم شأنه، وتمهيداً لبعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وليس تفضيلاً لهم أو دليلاً على خيريتهم<sup>(2)</sup>.

(1) ينظر: الإمام القرطبي، تفسير القرطبي، ج5/ص431.

(2) الإمام القرطبي، تفسير القرطبي، ج5/ص431.

## الروايات المتعلقة بأسباب النزول هذه السورة:

نزلت في قصة أصحاب الفيل وهي قصة مشتهرة معروفة<sup>(1)</sup>.

ورفقا لذلك، نفهم أن الموضوع الذي يدور حوله السورة الكريمة هو تعظيم البيت الحرام، والتذكير بمكانته، وبيان حرمة، فالمتأمل في الآيات القرآنية في هذه السورة الكريمة يلاحظ أن محورها هو بيان مكانة وفضل وأهمية وعظمة البيت الحرام، فقد حماه الله تعالى من كيد الكائدين به.

ومع ذلك، فإن هذه الرواية توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه السورة الكريمة. وبالفعل، نستنتج من سياق السورة أن السورة جزاء أصحاب الفيل، ومكرهم، وردّ كيدهم في نحرهم، وما نزل بهم من العقوبة، وما آل إليه أمرهم من سوء العاقبة<sup>(2)</sup>.

وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من الآية أن "الفيل وأصحابه" المقصود بهم أهل الحبشة الذين جاؤوا لغزو مكة وهدم الكعبة انتقاماً من العرب. وقد جاء التعبير بهذا اللفظ بدلاً من "أرباب الفيل" أو "ملك الفيل"، لأن الصاحب يكون عادةً من ذات الجنس، مما يحمل في طياته تحقيراً وإذلالاً لهؤلاء القوم، وكأنهم يشابهون الفيل في ضعف الفهم وقلة الإدراك. كما تتضمن السورة العديد من المعاني العظيمة التي تسلط الضوء على هذه الأحداث.

## المبحث التاسع عشر

2. 19. دراسة أسباب الدُّزول في سورة لإيلاف قريش

سورة قريش من بين السور المكية بلا خلاف في ذلك عند أهل العلم، وهو قول الجمهور، بيد أن هناك من قال بمدنيته كالضحاك وابن السائب الكلبي، ولكن الراجح قول الجمهور بمكيته، وذلك لأن سورة قريش من السور ذات الطابع المكي في قصر آياتها، وكذلك هي من القرآن المفصل<sup>(3)</sup>.

وسورة قريش من السور المحكمة، ومن السور القصاء، وهي السورة السادسة بعد المئة في ترتيب المصحف الشريف، وهي ثلاثة وسبعون حرفاً، وكلماتها سبع عشرة كلمة وآياتها أربع، وقد تعددت أسماء سورة قريش، فقد ورد في تسميتها بسورة قريش، وهو الأشهر من أسمائها، وكذلك عرفت بسورة لإيلاف قريش، وهذه التسمية ترجع إلى عهد السلف في القرون الأولى، حيث يسمون السورة بمطلعها، وذلك لذكر ألفتهم فيها<sup>(4)</sup>، وهذه التسمية جاءت في حديث أم هانئ بنت أبي طالب الذي أورده البخاري في صحيحه في فضل قريش<sup>(5)</sup>.

(1) نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن و غرائب الفرقان، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 375.

(2) الإمام القرطبي، تفسير القرطبي، ج 5/ ص 431.

(3) رواه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، ج 2/ ص 244، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري ومسلم، حديث رقم، (2888).

(4) ينظر: الإمام الطبري، جامع البيان، ج 24/ ص 617، : النغوي، تفسير البغوي، ج 5/ ص 309.

(5) أخرجه البخاري في، صحيح البخاري، كتاب الألف، ج 1/ ص 321، حديث رقم، (1004).

اشتملت السورة الكريمة على مجموعة من المعاني الجليلة، حيث تضمنت بيان نعمة الله على قريش، وحثهم على العبادة، وشكر الإحسان، والتأمل في قيمة النعمة وما يترتب عليها من عواقب وأمان. وقد أمرهم الله -سبحانه وتعالى- بتوحيده، مذكراً إياهم بالفضل الذي أنعم به عليهم، إذ جعل لهم القدرة على التنقل في الأرض للتجارة عبر رحلتي الشتاء والصيف، دون خوف من أي اعتداء قد يهددهم (1).

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة قريش:

روي عن أم هانئ، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله خصَّ قريشاً بسبع فضائل لم يمنحها لأحد قبلهم، ولن يمنحها لأحد بعدهم، فقد جعل الخلافة فيهم، والحجابه لهم، كما أن السقاية عهد إليهم، وأخرج النبوة من بينهم، وأيدهم بالنصر يوم الفيل، وعبده سبع سنوات دون أن يعبده أحد غيرهم، وأنزل فيهم سورة لم يذكر فيها أحد سواهم" (2).

كذلك وقد ورد "عن سعيد بن المسيب؛ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله فضل قريش بسبع خصال: أني منهم، وأن الله أنزل فيهم سورة كاملة من كتابه لم يذكر فيها أحد غيرهم، وأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبده أحد غيرهم، وأن الله نصرهم يوم الفيل، وأن الخلافة والسقاية والسدانة فيهم والله الحمد كثير" (3).

ووفقاً لذلك، نفهم أن الموضوع الذي يدور حوله السورة الكريمة المن على قريش بنعم الله عليهم (4).

ومع ذلك، فإنَّ مما ورد من روايات توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية والذي ذكر المنة على قريش، بأنَّ الله أنعم عليهم برحلتى الشتاء والصيف، وتحضيضهم على العبادة وشكر الإحسان. وبالفعل، نستنتج من سياق السورة أن سبب نزول هذه السورة هو بيان فضيلة قريش على غيرهم وحثهم وتذكيرهم بعبادة الله -سبحانه وتعالى- (5).

وبالتالي، فإنَّ هذه الرواية المنقولة تُؤثِّر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من السورة الكريمة الأمر بتوحيد الله -سبحانه وتعالى- وإفراده بالعبادة دون غيره، وغير ذلك من المعاني العظيمة التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

## المبحث العشرون

### 2. 20. دراسة أسباب النُّزول في سورة الماعون

سورة الماعون سميت بالعديد من الأسماء، منها سورة الماعون، حيثُ سميت بهذا الاسم في كثير من كتب التفسير، ووجه تسميتها بهذا الاسم ورود كلمة الماعون في آخرها، ولم تُذكر هذه الكلمة في أي سورة أخرى من سور القرآن الكريم، كذلك سُميت باسم سورة أُرِيت، وكذا عنون لها البخاري في صحيحه بهذا الاسم، وبسورة الدِّين، حيثُ عُدَّ هذا الاسم من أسماء

(1) ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج10/ ص552.  
(2) الدين النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ص 376.  
(3) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج8/ 635.  
(4) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24/ ص617، وتفسير ابن أبي حاتم، ج10/ ص3415، أبو الحسن الماوردي، التكت والعيون ج6/ ص345.  
(5) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج24/ ص617، وتفسير ابن أبي حاتم، ج10/ ص3415.

السورة في بعض كتب التفسير، وبسورة التكذيب، حيثُ ذكر هذا الاسم من أسماء هذه السورة الكريمة في بعض كتب التفسير، وأيضًا عرفت باسم سورة اليتيم، وقد ذكر هذا الاسم الشوكاني في فتح القدير<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من أن سورة الماعون من بين السور المكية إلا أن المفسرون اختلفوا في ذلك على النحو التالي:

**القول الأول:** مكية عند جمهور أهل العلم<sup>(2)</sup>.

**القول الثاني:** مدنية، عند قتادة:

**القول الثالث:** نصف مكي ونصفها الآخر مدني، ابن عباس وأحد أقوال قتادة<sup>(3)</sup>.

**الراجح هو القول الثالث لأسباب هي:**

أولاً: عند التأمل في معاني الآيات، نجد أن الجزء الأول من السورة يتناول صفات من يكذب بالدين، وهو ما كان بارزاً في مكة، بينما يركز الجزء الثاني على صفات المنافقين، مثل الغفلة عن الصلاة والرياء ومنع الماعون، وهي صفات لم تظهر إلا في المدينة<sup>(4)</sup>.

ثانياً: هذا الرأي يُنسب إلى ابن عباس -رضي الله عنه-، حيث ورد عنه قولان في تفسير السورة<sup>(5)</sup>.

ثالثاً: هذا التفسير تبناه عدد من العلماء، منهم الطبري والخازن وان جزى الكلبي وابن عاشور، كما مال إليه سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن"<sup>(6)</sup>.

أما مقاصد السورة، فقد تضمنت جملة من المعاني العميقة التي تناولها المفسرون، ومنهم البقاعي الذي أشار إلى أن السورة تهدف إلى التنبيه على أن إنكار البعث يؤدي إلى انتشار السلوكيات السيئة وإنكار الحقوق، حتى تصبح الاستهانة بالعواقب سمة لدى الإنسان، مما يجعله من أصحاب الخسارة في الدنيا والآخرة. وكل اسم من أسماء السورة يعكس هذا المعنى بوضوح عند تأمل الآيات الكريمة.

**الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الماعون:**

ذكر مقاتل والكلبي أن الآيات نزلت في العاص بن وائل السهمي<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، إحياء التراث العربي - بيروت، ج9/ص204.

(2) ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج6/ص682.

(3) ينظر: محمد الماتريدي، تأويلات أهل السنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005م، ج10/ص622.

(4) ينظر: محمد الماتريدي، تأويلات أهل السنة ج10/622.

(5) ينظر: في تفسير سيد قطب، ظلال القرآن، ج6/ص3984.

(6) ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج8، ص549.

(7) نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ص 375.

ورود عن ابن جريج أن أبا سفيان بن حرب، وكان يذبح في كل أسبوع بعيرين، جاءه يتيم يطلب شيئاً، فدفعه بعضاً، فأنزل الله تعالى سورة الماعون<sup>(1)</sup>.

وفي رواية أخرى عن ابن المنذر عن طريف بن أبي طلحة عن ابن عباس ذكر أن في قوله فويل للمصلين، قال أنها نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية<sup>(2)</sup>.

كذلك وهناك رواية أخرى ترتبط هذه الرواية بآية معينة من سورة الماعون، حيث ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: كان المسلمون يستعبرون من المنافقين الدلو والقدر والفأس وشبهه؛ فيمنعونهم؛ فأنزل الله " وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ"، الماعون: 7، وهذه الرواية ذكرها كل من مجاهد، والطبري، وابن أبي حاتم، والماوردي، والبغوي، والسيوطي، والشوكاني، وغيرهم من أهل العلم من المفسرين<sup>(3)</sup>.

ووفقاً لهذه الروايات، نفهم أن الموضوع الذي يدور حوله السورة الكريمة هو توضيح قضية دينية اجتماعية مهمة، وهي غياب التطبيق لكثير من نصوص الدين في واقع الناس وحياتهم، وذلك من خلال عدة آيات وضحت مفهوم التكذيب بالدين، حيث ذكرت السورة الكريمة من خلال هذه الآيات بعض الأفعال التي تمثل نماذج تطبيقية للبعد عن حقيقة الدين، والتصديق بأركانه، هذه الأفعال التي قد تبدو هينة عند بعض الناس، ويحسبونها لا تؤثر في الدين ولا في حقيقة التصديق بالدين، ذلك أن من الناس من يعتقد أن التصديق بالدين يكفي لتحقيقه النطق بالشهادتين وتأدية العبادات المفروضة<sup>(4)</sup>.

فالمتمأمل في الآيات القرآنية في هذه السورة الكريمة يلاحظ أن محورها هو بيان حقيقة العبادة من خلال ذكر صفات المكذب بالدين، فذكرت هذه الأفعال لتقرر أن العبودية إنما تتحقق بالتأدب مع الله تعالى، وحسن القيام على أداء حقوقه -سبحانه وتعالى- وحقوق العباد، فأنزل الله -سبحانه وتعالى- هذه السورة الكريمة<sup>(5)</sup>.

ومع ذلك، فإن هذه الرواية توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية، منها التحذير من السلوكيات السيئة وبيان آثارها على الفرد والمجتمع.

## المبحث الحادي والعشرون

2. 21. دراسة أسباب الذُّرول في سورة الكوثر

سورة الكوثر من بين السور القرآنية المُختلف فيها من حيث كونها مكية أم مدنية، وقد وقع هذا الاختلاف بين العلماء على قولين، وذلك على النحو التالي:

(1) ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج4/ص520.

(2) السيوطي، لباب النقول، ص216.

(3) مجاهد، تفسير مجاهد، ج1/755، والطبري، جامع البيان، ج24/677، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج10/3469، والماوردي، تفسير الماوردي، ج6/353.

(4) أبو الحسن مقاتل، تفسير مقاتل، ج4/ص869.

(5) أبو الحسن مقاتل، تفسير مقاتل، ج4/ص869.

**القول الأول:** ذهب أصحاب هذا القول إلى أن سورة الكوثر سورة مكية، وهو قول أكثر المفسرين (1).

وقد استدلت أصحاب هذا القول بأن سورة الكوثر نزلت في العاصي بن وائل ووصفه بالأبتر، وقال فريق أنها في عقبه بن أبي معيط، وفريق أنها في أبي جهل، وأكثر أهل العلم في كونها نزلت في العاصي بن وائل.

وكذلك بأن مقتضى ما يروي في تفسير (الأبتر) وأنه الذي لا ولد ولا خلف له.

**القول الثاني:** ذهب أصحاب هذا القول بأن سورة الكوثر سورة مدنية، وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة (2).

وقد استدلت أصحاب هذا القول بما ورد عن انس بن مالك بينما رسول ذات يوم بين أظهرنا إذ نام نومة خفيفة ثم استيقظ مُبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت سورة الكوثر وورد عن ابن جريج أن أبا سفيان بن حرب، وكان يذبح في كل أسبوع بعيرين، جاءه يتيم يطلب شيئاً، فدفعه بعضاً، فأنزل الله تعالى قوله: (أرأيت الذي يكذب بالدين \* فذلك الذي يدع اليتيم) [الماعون: 1-2].

أسلم أنس في بدايات الهجرة النبوية، فإن كان لفظ "أنفأ" في حديث النبي ﷺ يُحمل على معناه الظاهر، أي الزمن القريب، دل ذلك على أن نزول سورة الكوثر كان قريباً من وقت وقوع تلك الرؤيا (3).

ويُستدل بهذا الحديث من قبل من يرجح أن السورة مدنية، وقد نزلت في صلح الحديبية، ويعززون قولهم بروايات عدة، منها ما رواه الإمام الطبري عن سعيد بن جبير، أنه قال: "نزلت آية فصل لربك وانحر في صلح الحديبية، حيث جاءه جبريل عليه السلام وقال له: انحر ثم ارجع، فقام رسول الله ﷺ، فنزلت الآية (4).

مما سبق عرضه وبيان من جملة أقوال أهل العلم في بيان كون السور الكريمة مدنية أم مكية يمكنني القول بأنها مدنية، وقد رجح ذلك أيضاً الإمام النووي والحافظ وابن حجر والسيوطي والطاهر بن عاشور وغيرهم.

وسورة الكوثر هي أقصر السور القرآنية، ويبلغ عدد آياتها ثلاث آيات، وسميت هذه السورة الكريمة بسورة الكوثر، وقد عنون لها في كتب الحديث بـ (إنا أعطيناك الكوثر).

وقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من المقاصد الجليلة، من بينها بيان إكرام الله - سبحانه وتعالى - لرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -، والإخلاص في العبادات، وغير ذلك من المقاصد الجليلة التي اشتملت عليها السورة الكريمة (5).

**الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الكوثر:**

(1) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج 8/ص 520.

(2) ينظر: ينظر: الألويسي، روح المعاني، ج 15/ص 478.

(3) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 32/ص 571.

(4) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 24/ص 723-724.

(5) الإمام مسلم، الصحيح، ج 1/ص 300، حديث رقم، 400.

تعددت روايات أسباب نزول سورة الكوثر ما بين روايات تتعلق بالسورة إجمالاً، وبروايات أخرى تتعلق بآية معينة بسبب حوادث معينة، وهذه الروايات على اختلافها تتناول جانبين من جوانب السورة الكريمة، الجانب الأول يتعلق بتفسير لفظ النحر، ووقته وضوابطه، وسبب نزول الآية الكريمة، والجانب الثاني يتناول تفسير لفظ الأبر، ومقصد قريش واليهود من ذلك تجاه النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فالجانب الأول من هذه الروايات يتمثل فيما ورد عن سعيد بن جببر؛ أنه قال: كانت هذه الآية؛ يعني: قوله -تعالى-: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2)} يوم الحديبية، أنه جبريل -عليه السلام-، فقال: "انحروا وارجع"، فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها؛ فذلك حين يقول -تعالى-: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2)} (1).

أمَّا الجانب الثاني فيتمثل في تفسير لفظ الأبر، ومقصد قريش واليهود من ذلك تجاه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقد ورد عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله -تعالى-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ}؛ قال: نهر في بطنان الجنة، حافظاه قباب الدر والياقوت، فيه أزواجه وخدمه، قال: وبأي شيء ذكر ذلك؟ قال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دخل من باب الصفا وخرج من باب المروة، فاستقبله العاص بن وائل السهمي، فرجع العاص إلى قريش، فقالت له قريش: من استقبلك يا أبا عمرو أنفأ؟! قال: ذلك الأبر؛ يريد: النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ حتى أنزل الله هذه السورة: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}؛ [الكوثر: 1-3]، يعني: عدوك العاص بن وائل هو الأبر من الخير، لا أذكر في مكان إلا ذكرت معي يا محمد! فمن ذكرني ولم يذكرني؛ ليس له في الجنة نصيب، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم؛ أما سمعت حسان بن ثابت يقول(2):

وَحَبَاهُ إِلَهَهُ بِالْكَوْثَرِ ... الْأَكْبَرِ فِيهِ النِّعِيمُ وَالْخَيْرَاتُ.

وأيضاً ورد عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: بينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم بين أظهرنا؛ إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟! قال: "أنزلت عليّ أنفأ سورة"، فقرأ: {يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)}، ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟"، فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي -عز وجل-، عليه خير كثير؛ هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، أنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب! إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك"(3).

كذلك ذكر الطبري ما ورد في شأن أسباب نزول قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ} [الكوثر: 2]، فقد ورد "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ} [الكوثر: 2] يَقُولُ: إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُصَلُّونَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَيَنْحَرُونَ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِذَا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ يَا مُحَمَّدُ، فَلَا تُكُنْ صَلَاتِكَ وَتَحْرُكَ إِلَّا لِي" وَقَالَ آخَرُونَ:

(1) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج/3 ص564-571.

(2) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج/3 ص564.

(3) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج/3 ص564-571.

بَلْ أَنْزَلْتُ هَذِهِ آيَةً يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، جِئْنَا حُصْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، وَصُدُّوا عَنِ النَّبِيِّ، فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّيَ، وَيُنْحَرَ الْبُذُنَ، وَيُنْصَرَفَ، فَفَعَلَ" (1).

فُيَسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهَا تَفْسِيرٌ لَفِظِ الْأَيْتَرِ، مِنْ خِلَالِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَسَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ تَسْلِيَةً لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ قَرَيْشٌ، خَاصَّةً الْعَاصِمَ بْنَ وَائِلَ السَّهْمِيِّ، وَالرِّوَايَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الطَّبْرِيُّ تَتَعَلَّقُ بِحَادِثَةِ يَوْمِ الْحُدَيْبِيَّةِ، حَيْثُ أَوْضَحَتِ الرِّوَايَةُ الْكَرِيمَةَ السِّيَاقَ التَّارِيخِيَّ لِنَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ وَافَقَ الطَّبْرِيُّ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَكِّيَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنَ كَثِيرٍ، وَالشُّوْكَانِيَّ، وَالطَّاهِرَ بْنَ عَاشُورَ (2).

كَذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ رِوَايَةَ أُخْرَى تَتَعَلَّقُ بِالآيَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ سُورَةِ الْكُوْثَرِ، فِيمَا وَرَدَ "عَنْ عِكْرَمَةَ، {إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَيْتَرُ} [الكوثر: 3] قَالَ: "لَمَّا أُوجِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ قُرَيْشٌ: بَيَّرَ مُحَمَّدٌ مِنَّا، فَزَلَّتْ: {إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَيْتَرُ} [الكوثر: 3] قَالَ: الَّذِي رَمَاكَ بِالْبَيْتَرِ هُوَ الْأَيْتَرُ" (3).

وَفِي مَوْضِعٍ أُخَرَ تَشِيرُ سِيَاقَ الرِّوَايَاتِ أَنَّ الْآيَةَ الثَّلَاثَةَ مِنْ سُورَةِ الْكُوْثَرِ وَرَدَتْ فِي شَأْنِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ؛ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَلَا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُنْبِتِ مِنْ قَوْمِهِ يَزْعَمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا؟ وَنَحْنُ؛ يَعْنِي: أَهْلَ الْحَجِيحِ وَأَهْلَ السَّدَانَةِ، قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ؛ فَزَلَّتْ: {إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَيْتَرُ (3)}، وَنَزَلَتْ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَبِ وَالطَّاعُوتِ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} [النساء: 51، 52] (4).

وَأَيْضًا قَبْلَ أَنْ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ، فَوَرَدَ عَنِ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ؛ قَالَ: كَانَ عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَبْقَى لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلَدٌ وَهُوَ أَبْتَرٌ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: {إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَيْتَرُ (3)} عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ (5).

فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَوْضِحُ اتِّهَامِ قَوِيٍّ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنَّهُ أَبْتَرٌ لَا وَلَدَ لَهُ، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، تَسْلِيَةً لَهُ، وَبَيَانًا أَنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَعْطَاهُ مِنْ خَيْرٍ مَا لَا يُعْطَى بَشَرًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ، وَأَنَّ مَنْ اتَّهَمَهُ بِذَلِكَ هُوَ الْأَيْتَرُ، وَقَدْ وَافَقَ الطَّبْرِيُّ فِي ذَلِكَ الْمَآوِرِدِيَّ، وَابْنَ عَطِيَّةٍ، وَالرَّازِيَّ، وَالْعَزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ، وَالْقُرْطُبِيَّ، وَأَبُو حَيَّانٍ، وَابْنَ كَثِيرٍ، وَالثَّعَالِبِيَّ، وَابْنَ عَادِلٍ، وَالسِّيُوطِيَّ، وَالْمُظْهَرِيَّ، وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَفْسِرِينَ.

يُسْتَفَادُ مِمَّا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ رِوَايَاتٍ فِي أَسْبَابِ نَزُولِ سُورَةِ الْكُوْثَرِ أَثَرٌ كَبِيرٌ وَدَوْرٌ فَعَّالٌ فِي إِبْرَازِ سِيَاقِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَفِي بَيَانِ الْمَعْنَى التَّفْسِيرِيَّةِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْآيَاتِ، فَقَدْ أَكَّدَ الطَّبْرِيُّ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ فِي تَفْسِيرِهِ، فَقَالَ: "وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي

(1) الطَّبْرِيُّ، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، ج 24/ 695.  
(2) الْمَآوِرِدِيَّ، النَّكْتُ وَالْعِيُونَ، ج 6/ 356، وَابْنَ عَطِيَّةٍ، تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ، ج 5/ 530، وَالرَّازِيَّ، مِفْتَاحُ الْغَيْبِ، ج 32/ 320، وَالْقُرْطُبِيَّ، تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيَّ، ج 20/ 222، وَأَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْمَحِيْطُ فِي التَّفْسِيرِ، ج 10/ 557، وَابْنَ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ، ج 8/ 477، وَابْنَ عَادِلٍ، الْبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ، ج 20/ 524، وَالثَّعَالِبِيَّ، تَفْسِيرُ الثَّعَالِبِيَّ، ج 5/ 633، وَالْمُظْهَرِيَّ، تَفْسِيرُ الْمُظْهَرِيَّ، ج 10/ 351.  
(3) الطَّبْرِيُّ، جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، ج 24/ 700.  
(4) الْهَلَالِيُّ، الْاسْتِيعَابُ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ، ج 3/ 564-571.  
(5) الْهَلَالِيُّ، الْاسْتِيعَابُ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ، ج 3/ 564-571.

بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَحْبَرَ أَنَّ مُبْغِضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْأَقْلُ الْأَذَلُّ، الْمُنْقَطِعُ عَقْبُهُ، فَذَلِكَ صِفَةُ كُلِّ مَنْ أَبْغَضَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتْ آيَةُ نَزَلَتْ فِي شَخْصٍ بَعِيْنِهِ"<sup>(1)</sup>.

والملاحظ في هذا الجانب وهو جانب تفسير لفظ الأبتَر، ومقصد قريش واليهود من ذلك تجاه النبي -صلى الله عليه وسلم-، يلاحظ تعدد وتنوع الروايات في ذلك، إلا أنها تتفق جميعها في بيان بتر نسب النبي -صلى الله عليه وسلم- فهناك روايات بيّنت أن القائل هو عقبة بن أبي معيط، وأخرى تتعلق بكعب بن الأشرف، والعاص بن وائل السهمي، وروايات أخرى تتعلق بشأن موت إبراهيم ابن النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد ورد عن أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه-؛ قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ مشى المشركون بعضهم إلى بعض، فقالوا: إن هذا الصابئ قد بتر الليلة؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)} إلى آخر السورة<sup>(2)</sup>.

كذلك وقد ورد عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: كان أول من ولد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة قبل النبوة القاسم، وبه كان يُكنى، ثم ولدت زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم، ثم ولد في الإسلام عبد الله؛ فسمي الطيب والظاهر وأمه جميعاً خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأما فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، فكان أول من مات من ولده القاسم، ثم مات عبد الله بمكة؛ فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده؛ فهو أبتَر؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)}، [الكوثر: 3]<sup>(3)</sup>.

كذلك وقد ورد عن عكرمة؛ قال: لما أوحى الله إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ قالت قريش: بتر محمد بنا؛ فنزلت: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)}<sup>(4)</sup>.

وبناءً على هذه الروايات، يتضح أن محور السورة الكريمة يتمحور حول عطاء عظيم من به سبحانه وتعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام، ويتمثل هذا العطاء في نهر الكوثر. وقد فسّر المفسرون الكوثر بمعانٍ متعددة، منها: النبوة، والعلم، والقرآن، والشفاعاة، وشرف الجنة، كما قيل إنه الحوض الذي يرده المؤمنون، أو أنه ذريته عليه الصلاة والسلام. وتأتي هذه السورة ردّاً على من ادّعى أن النبي عليه الصلاة والسلام أبتَر، أي لا عقب له، فقد أراد سبحانه وتعالى أن يكرم نبيه عليه الصلاة والسلام، ويمنحه نسلاً وقيراً لا ينقطع إلى يوم القيامة.

من يتأمل في آيات هذه السورة الكريمة يجد أن محورها الأساس هو الرد على من زعم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لا نسل له، مستدلين بوفاة أبنائه الذكور. فقد كان من عادات العرب أن تطلق وصف "الأبتَر" على من لا عقب له. وتشير عدد من الروايات إلى أن السورة نزلت في العاص بن وائل، حيث رُوِيَ أنه التقى بالنبي عليه الصلاة والسلام عند باب بني سهم، وكان بعض كبار قريش يجلسون في المسجد، فلما دخل العاص وسأله عما كان يُحدثه، قال: ذلك الأبتَر، قاصداً النبي عليه

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 24/ 700.

(2) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج 3/ ص 564-571.

(3) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج 3/ ص 564-571.

(4) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج 3/ ص 564-571.

الصلاة والسلام، وقد كان عبد الله، ابن النبي عليه الصلاة والسلام من خديجة، قد توفي آنذاك. فأنزل سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة تكريمًا لنبيه عليه الصلاة والسلام وتفنيديًا لذلك الزعم<sup>(1)</sup>.

وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من الآية أن "الكوثر" هو العلم والنبوة، والقرآن، والشفاعة، وشرف الجنة، وهو حوض النبي -صلى الله عليه وسلم- أو ذريته، وغير ذلك من المعاني العظيمة التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

وبالرجوع إلى أقوال المفسرين في بيان معنى الكوثر من خلال الروايات الواردة في أسباب نزول السورة الكريمة يلاحظ اختلاف أهل التأويل في معنى الكوثر، فقال الطبري: هُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقِيلَ الْكُوثرُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَاقَتْهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، يَجْرِي عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، عَلَيْهِ مِنَ الْآيَةِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، ثُرَابُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ، وَمَاؤُهُ الْخَمْرُ، وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِالْكَوثرِ: النُّبُوَّةُ وَالْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَقِيلَ وَالْقُرْآنُ وَالْحِكْمَةُ، وَقِيلَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ رَجَّحَ قول الطبري كل من الزجاج، وابن أبي حاتم، والماتريدي، والسمرقندي، والثعلبي، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والبغوي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي والقرطبي، وابن عادل وغيرهم<sup>(2)</sup>.

وقد رجَّح الطبري القول القائل بأن الكوثر هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، فقال: وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي، قَوْلٌ مَنْ قَالَ: هُوَ اسْمُ النَّهْرِ الَّذِي أُعْطِيَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْكَثْرَةِ، لِعِظَمِ قَدْرِهِ. وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ، لِتَتَابُعِ الْأَخْبَارِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ<sup>(3)</sup>.

فيستفاد من روايات الجانب الأول من أسباب نزول هذه السورة خاصة الآية الكريمة التي اشتملت على لفظ النحر أنها نزلت بشأن يوم الحديبية، حيث أتى جبريل -عليه السلام- النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "انحروا وارجع"، فقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها؛ فذلك حين يقول -تعالى-: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحِرْ}.

والجانب الثاني من هذه الروايات يُستفاد منها أنّ الله -سبحانه وتعالى- قال هذا لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، بسبب كل من عقبة بن أبي معيط، أو كعب بن الأشرف، أو العاص بن وائل السهمي، سخروا من النبي بعد وفاة ابنه قائلين إنه مقطوع النسل، وأمّا معنى لفظ «الكوثر» فنفهمه من هذه الروايات بأنه نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم-.

## المبحث الثاني والعشرون

### 2. 22. دراسة أسباب الدُّزول في سورة الكافرون

(1) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص 306-307.  
(2) انظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/679-685، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج 5/369، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، ج 10/3470، والماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج 10/627، والسمرقندي، تفسير السمرقندي، ج 3/627، ولثعلبي، تفسير الثعلبي، ج 10/309، ومطي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج 12/8467، والواحدي، التفسير الوسيط، ج 4/560.  
(3) انظر: الطبري، جامع البيان، ج 24/679-685.

سورة الكافرون من السور المكية عند جمهور أهل العلم، وعدد آياتها ست آيات، وسُميت سورة الكافرون بهذا الاسم، وهو الاسم الدارج والمشهور والمدون في المصحف الشريف، كذلك سميت بالعديد من الأسماء الأخرى، كسورة الجحد، لأن الجحد هو أحد صفات الكافرين، وبسورة العبادة، ووجه تسميتها بذلك أنها تضمّنت موضوع العبادة، وأيضًا عرفت باسم سورة المقشقة، والتي تعني البراءة من الكفر والشرك، باعتبار تضمنها لهذا المعنى، بالإضافة إلى تسميتها أيضًا بسورة الإخلاص، باعتبار أنها تشير إلى إخلاص الرسول -صلى الله عليه وسلم- في عبادته لله -سبحانه وتعالى<sup>(1)</sup>.

وقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من المقاصد الجليلة، من بينها البراءة من كفر الكافرين، ومما يعبدون والإخلاص في العمل لله تعالى<sup>(2)</sup>.

الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الكافرون:

ذكر أهل العلم العديد من الروايات التي تدور حول سبب نزول سورة الكافرون، وجميعها تدور حول كونها نزلت بشأن صدّ النبي -صلى الله عليه وسلم- عن دعوته لدين الله -سبحانه وتعالى-، ومساومته بالمال والملك والمنصب، وأيضًا بالمقاسمة في عبادة الله -سبحانه وتعالى- فيعبدون ألهه عامًا، ويبعد آلهتهم عامًا، فقد ذكر الطبري في تفسيره سبب النزول، وهو أنه " كَانَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِهِ فِيمَا دُكِرَ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يُعْبُدُوا اللَّهَ سَنَةً، عَلَى أَنْ يُعْبُدَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَهُتَهُمْ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَعْرِفَةً جَوَابِهِمْ فِي ذَلِكَ: {قُلْ} [البقرة: 80] يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوكَ عِبَادَةَ إِلَهُتِهِمْ سَنَةً، عَلَى أَنْ يُعْبُدُوا إِلَهَكَ سَنَةً {يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: 1] بِاللَّهِ {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون: 2] مِنَ الْأَلِهَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ الْآنَ {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون: 3] الْآنَ {وَلَا أَنَا عَابِدٌ} [الكافرون: 4] فِيمَا اسْتَقْبَلُ {مَا عَبَدْتُمْ} [الكافرون: 4] فِيمَا مَضَى {وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ} [الكافرون: 3] فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ أَبَدًا {مَا أَعْبُدُ} [الكافرون: 3] أَنَا الْآنَ، وَفِيمَا اسْتَقْبَلُ. وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْخُطَابَ مِنَ اللَّهِ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَدَعَا إِلَهُتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أَبَدًا، وَسَبَقَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي السَّابِقِ مِنْ عِلْمِهِ، فَأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُؤَيِّسَهُمْ مِنَ الَّذِي طَمَعُوا فِيهِ، وَحَدَّثُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ كَانٍ مِنْهُ وَلَا مِنْهُمْ، فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَآيَسَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّمَعِ فِي إِيْمَانِهِمْ، وَمِنْ أَنْ يُفْلِحُوا أَبَدًا، فَكَانُوا كَذَلِكَ لَمْ يُفْلِحُوا وَلَمْ يَنْجُوا، إِلَى أَنْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ بِالسَّيْفِ، وَهَلَكَ بَعْضُ قَبْلِ ذَلِكَ كَافِرًا. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَجَاءَتْ بِهِ الْأَثَارُ"<sup>(3)</sup>.

فجميع الروايات وردت في بيان أن قريشًا عرضت على النبي -عليه الصلاة والسلام- اقتراحًا يقوم على المساومة في الدين، فقالوا له: يا محمد، نتبادل في العبادة؛ نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة، فإن كان ما جئت به حقًا نكون قد نلنا منه نصيبًا، وإن كان ما نحن عليه هو الحق، فقد شاركتنا فيه. فرفض النبي عليه الصلاة والسلام هذا العرض قائلاً: معاذ الله أن أشرك بالله غيره. عندها نزل عليه الوحي بسورة الكافرون، إعلانًا صريحًا للفصل بين التوحيد والشرك، ورفضًا لأي نوع من التنازل أو التوفيق

(1) ينظر: أبو عمرو الداني، جامع البيان، جامعة الشارقة - الإمارات، ط 1، 2007 م.

(2) ينظر: وتفسير ابن أبي حاتم، ج 10/ص 3471.

(3) الطبري، جامع البيان، ج 24/703.

بين العقيدتين. وفي اليوم التالي، ذهب النبي عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الحرام، وقرأ السورة على مسامح زعماء قريش، فكان لها وقع شديد عليهم، وأدركوا من حينها أن لا مجال لمساومة النبي عليه الصلاة والسلام في دينه (1).

كما روى ابن عباس أن قريشًا حاولت استمالة النبي عليه الصلاة والسلام بإغرائه بعروض دنيوية، فعرضوا عليه المال ليصبح أغنى رجل في مكة، ووعده بتزويجه من أجمل النساء، مقابل أن يكف عن ذم آلهم ولا يتعرض لها بسوء. فإن لم يقبل بذلك، طلبوا منه على الأقل أن يعبد آلهم عامًا واحدًا مقابل أن يعبدوا إلهه عامًا آخر. فردَّ عليهم النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: "حتى أنظر ما يأتي من ربي"، منتظرًا الوحي. فجاء الرد الإلهي حاسمًا، حيث أنزل سبحانه وتعالى سورة الكافرون: وكذلك أنزل قوله: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: 64]، لتؤكد الآيات رفض النبي عليه الصلاة والسلام المطلق لأي نوع من الشرك أو المساومة في العقيدة (2).

وعلى الرغم من تعدد الروايات في أسباب نزول هذه السورة الكريمة، إلا أنني اكتفيت بذكر بعضها لبيان مدى تأثيرها على سياق السورة الكريمة، ومدى اعتماد أهل العلم من المفسرين عليها في تفسيرهم للسورة الكريمة، فهذه الروايات المذكورة كلها تدل وتؤكد مدى حرص قريش على صدّ النبي عن دين الله، من خلال تقديم كل الإغراءات لتصرفه عن ذلك، من بين ذلك المال والملك والنساء، إلى جانب مقاسمته في العبادة، فيعبدون إلهه عامًا، ويعبد آلهم عامًا، فرفض النبي كل ذلك، ومن ثمّ فقد اعتمد أهل العلم من المفسرين على ذلك في سياق تفسيراتهم للسورة الكريمة، من بينهم التستري، والطبري، وابن أبي حاتم، والثعلبي، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والسمعاني، والبعوي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وابن جزي الكلبي، وابن عادل، والنيسابوري، والسيوطي، والخلوتي، وغيرهم.

ومن ثمّ تُشير هذه الروايات إلى أن الهدف الأساس من سورة الكافرون هو بيان الموقف الحاسم من الشرك والمشركين، وتأكيد التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى. فقد جاءت السورة لتفصل بشكل قاطع بين طريق الإيمان وطريق الكفر، وتُعلن البراءة التامة من عبادة غير الله، ومن كل ما يرتبط بالمعتقدات الشركية. فعندما عرض المشركون على النبي عليه الصلاة والسلام نوعًا من التنازل أو المهادنة في العقيدة، بأن يعبد آلهم عامًا ويعبدوا إلهه عامًا آخر، نزل الوحي بسورة تحمل رفضًا قاطعًا لهذا الطرح، مغلقًا بذلك كل أبواب التفاوض في أمور العقيدة. وبهذا، يتبين أن الغاية من السورة هي إفهام الكفار أن التوحيد لا يقبل المساومة، وأن المؤمنين لا يمكن أن يلتقوا مع المشركين في عبادة أو معتقد، لا في الحاضر ولا في المستقبل، فدين الإسلام نقي لا يختلط بشيء من الشرك مطلقًا (3).

فالتأمل في الآيات القرآنية في هذه السورة الكريمة يلاحظ أنّ محورها هو المساومة على عبادة آلهة الكافرين، فقد تضمنت السورة الكريمة في الإجمال أمر الله تعالى رسوله أن يرفض اقتراح الكافرين في ذلك، ويؤكد لهم براءته من عبادة الأصنام،

(1) ينظر: البغوي، تفسير البغوي، ج4/ص235.

(2) السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ص373.

(3) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص580.

وعدم قبوله لعبادتها بأي الأنحاء، ويقطع أملهم عن الرسول في الهدنة في هذا المجال إلى الأبد. فقد بيّنت الروايات أنّ هذه السورة الكريمة نزلت في بيان مساومة المشركين النبي في عبادة آلهتهم<sup>(1)</sup>.

ومع ذلك، فإن هذه الروايات على تعددها وتنوعها توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية، وهو استقلال عبادة النبي عن عبادة آلهة المشركين، وعن عبادة الكفار، وبرائته من الشرك على وجه التأكيد والفصل ما بين الإيمان والكفر، وبالفعل، نستنتج من سياق السورة أن المحور الأساسي الذي كان المشركون يتداولونه فيما بينهم، هو إقناع النبي ومساومته في عبادة آلهتهم، وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثّر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من السورة الكريمة المساومة في العبادة/ وغير ذلك من المقاصد العظيمة التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

### المبحث الثالث والعشرون

#### 2. 23. دراسة أسباب النُّزول في سورة النصر

سورة النصر، مدنية على أصح الأقوال، ورد عن عنه عليه الصلاة والسلام لما أنزلت هذه السورة نُعيّت إليّ نفسي، وتسمى سورة النصر بسورة التوديع، وهي من السور القصيرة، ويبلغ عدد آياتها ثلاث آيات، وعدد كلماتها تسع عشرة كلمة، وقد حملت هذه السورة البشرية لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجاً<sup>(2)</sup>.

وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على بعض المقاصد الجليلة، من أهم هذه المقاصد التبشير بمجيء فتح الله ونصره للنبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، والبشارة بدخول خلائق كثيرة في الإسلام. كذلك فقد اشتملت السورة الكريمة أيضاً على أمره عليه الصلاة والسلام بشكر هذه النعمة بتنزيه الله بالتسبيح والشكر والإكثار من الاستغفار، فهو المنعم المتفضل الكريم، إضافة إلى تأكيد رحمة الله ومغفرته بقبوله توبة التائبين والعفو والصفح عن المذنبين المستغفرين إلى غير ذلك من المقاصد الجليلة التي اشتملت عليها السورة الكريمة<sup>(3)</sup>.

الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة النصر:

ذكر ابن كثير في تفسيره سبب نزول سورة النصر، وذلك فيما روي عن " ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة... " <sup>(4)</sup>.

فهذه الرواية التي أوردها ابن كثير في تفسيره تُبين أنّ السورة نزلت في حجة الوداع، ووافق الزمخشري وابن عادل وابن كثير في بيان سبب نزول هذه السورة الكريمة، فقال ابن كثير "روى أنها نزلت في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع"<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم، ج10/ ص3471.

(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أبو إسحاق 2002م، (10/ 321)، وغرانب التفسير، برهان الدين الكرمانى، (2/ 1402).

(3) ينظر: تفسير القرطبي، (20/ 229)، والفواتح الإلهية الشيخ علوان، (5/ 535).

(4) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/ 481.

(5) الزمخشري، تفسير الزمخشري، ج4/ 810.

كذلك وقد رُوي عن ابن عباس، أن النبي عليه الصلاة والسلام، عندما عاد من غزوة حنين، أنزل سبحانه وتعالى عليه سورة النصر، فالتفت إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، وقال لهما: "قولاً: جاء نصر الله والفتح، فسبحان ربي وبحمده"، إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى سور النصر (1).

كذلك وورد عن الزهري؛ قال: فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد، فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم الله، ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرفع عنهم، فدخلوا في الدين؛ فأنزل الله: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} حتى ختمها، ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن معه من قريش وهي كنانة، ومن أسلم يوم الفتح قبل حنين، وحنين وإد في قُبل الطائف ذو مياه، وبه من المشركين يومئذ عجز هوازن، ومعهم ثقيف، ورأس المشركين يومئذ مالك بن عوف النضري، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين، وكان يوماً شديداً على الناس؛ فأنزل الله - عز وجل -: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ} الآية [التوبة: 25] (2).

ووفقاً للروايات الواردة في أسباب نزول سورة النصر، نفهم أنّ هناك آريان في زمن نزولها، وذلك على النحو التالي:

الرأي الأول: أنّ سورة النصر نزلت بعد فتح مكة، وذلك أنّ فتحها كان في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، وقد نزلت هذه السور سنة عشر.

الرأي الثاني: أن ذلك كان قبل فتح مكة، وهي بشرى بفتح مكة، والراجح هو الرأي الثاني، يقول الإمام الرازي موضعاً ذلك الأصح هو أنّ السورة نزلت قبل فتح مكة (3).

ومع ذلك، فإن ما ورد من روايات في أسباب نزول هذه السورة الكريمة، فجميعها توضح بشكل دقيق الموضوع الذي تشير إليه الآية، وهو التبشير بمجيء نصر الله - سبحانه وتعالى - للنبي وللمسلمين، ودخول العديد من المسلمين في دين الله أفواجا، وبالفعل، نستنتج من سياق السورة أن المحور الأساسي هو نصر الله - سبحانه وتعالى - لنبيه وللمؤمنين، لذلك سميت بصورة النصر، بالإضافة إلى أنّ السورة الكريمة تأمر النبي الكريم بشكر الله على ما أنعم عليه من نعمة النصر المبين، وزيادة أعداد المسلمين، وانتشار الإسلام في العديد من بقاع الأرض، وبالتالي، فإن هذه الرواية المنقولة تُؤثّر بشكل مباشر على فهم السورة أو الآية. إذ يظهر من الآية أن "النصر" هو نصر الله - سبحانه وتعالى - وفتحه العظيم لنبيه وللمسلمين جميعاً، بانتشار الإسلام، والقضاء على الشرك والمشركين، وغير ذلك من المعاني العظيمة التي اشتملت عليها السورة الكريمة.

فاعتمد أهل العلم من المفسرين على تفسير سورة النصر من خلال ما ورد بشأنها من أسباب نزول، تُبين فتح الله - سبحانه وتعالى - على رسوله وعباده المؤمنين، بتمكين دين الله، وزيادة أعداد المسلمين، وانتشار الإسلام في العديد من بقاع الأرض،

(1) تفسير النيسابوري، (ص 378)، وتفسير ابن كثير، (4/ 561-562).

(2) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج 3/ ص 573-574.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، (32/ 347)، وتفسير البيضاوي، (5/ 344)، ومحاسن التأويل، (9/ 224).

وقد اعتمد العديد من المفسرين على الرواية الأولى، التي تُوضح أنّ نزول سورة النصر كانت في أوسط أيام التشريق، ومن بين هؤلاء أبي حيان، وابن كثير، وابن رجب الحنبلي، والثعالبي، والسيوطي، والشوكاني، ومحمد رشيد رضا وغيرهم.

## المبحث الرابع والعشرون

### 2. 24. دراسة أسباب النُّزول في سورة المسد

سورة المسد من بين السور المكية باتفاق أهل العلم، وعدد آياتها خمس، وهي السورة السادسة في ترتيب النزول، والحادية عشرة بعد المائة في ترتيب المصحف العثماني<sup>(1)</sup>.

كذلك وقد اشتهرت هذه السورة الكريمة بسورة المسد لوقوع لفظة المسد في آخرها، والمسد كما بينه أهل العلم هو الحبل المضفور المحكم الفتل. كذلك وقد عرفت أيضًا بسورة اللهب أو أبو لهب، وذلك لورود قصة أبي لهب، كذلك بسورة "تَبَّتْ"، وقد جاءت هذه التسمية من أول آية في السورة الكريمة، كما دلَّ على ذلك العديد من الآثار، منها ما أخرجه البخاري في قول أبي لهم تبا لك سائر اليوم<sup>(2)</sup>.

تتضمّن سورة المسد معاني عظيمة ومقاصد واضحة، أبرزها إظهار كيف أن سبحانه وتعالى تكفل بنصرة نبيه عليه الصلاة والسلام، والرد على من ناصبه العدا، وفي مقدمتهم عمه أبو لهب، الذي جاهر بعداوته وأساء إليه قولًا وفعالًا. فجاءت السورة لتعلن خسران أبي لهب وهلاكه، وتتوعده بالعذاب، كما أشارت إلى شريكة أذاه، زوجته، التي كانت تُلحق الأذى بالنبي عليه الصلاة والسلام بشئى الوسائل. فبيّنت السورة أن العداوة لرسول الله عليه الصلاة والسلام مآلها الخسران، وأن النصر في النهاية لأهل الإيمان<sup>(3)</sup>.

فالمتمأل الناظر في آيات سورة المسد يلاحظ أنّ هذه السورة تُبين عن الأثر السوء لأبي لهب رأس الكفر والعناد ممثلًا الأنموذج في المجاهدة في إيذائه عليه الصلاة والسلام وأصحابه في مكة قبل الهجرة، وعمًا لقيه ذلك المُبتدع في هذا الإيذاء من تبات وهلاك في الدنيا، وما سيلقاه يوم القيامة من العذاب المُهين، وهذا يرسم حقيقة المصير الذي سيلقاه أحفاده الذين اتَّخذوا رسالتهم في حياتهم إيذاء نبي الله -صلى الله عليه وسلم- وإيذاء المستمسكين بسنته -صلى الله عليه وسلم- من أمته في زماننا هذا<sup>(4)</sup>.

الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة المسد:

(1) ينظر: علي سليمان العبيد، مقاصد سور القرآن الكريم، دار التدمرية، دمشق، ص 517.  
(2) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، باب ذكر شرار الموتى، ج 2/ص 104، حديث رقم، 1394.  
(3) ينظر: حبنكة الميداني، معارج التفكير، دمشق، دار القلم، ج 1/ص 381.  
(4) ينظر: محمود توفيق، خصائص البيان القرآني في سورة المسد، مجلة معهد الإمام الشاطبي، ع 21، 1437هـ، ص 234.

ذكر الطبري في تفسيره سبب نزول سورة المسد، وذلك من خلال ما ورد عن " ابنُ رَبيِّ، في قولِ الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: 1] قَالَ: النَّبِيُّ " الْخُسْرَانُ، قَالَ: قَالَ أَبُو لَهَبٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَاذَا أُعْطِيَ يَا مُحَمَّدُ إِنْ آمَنْتُ بِكَ؟ قَالَ: «كَمَا يُعْطَى الْمُسْلِمُونَ» فَقَالَ: مَا لِي عَلَيْهِمْ فَضْلٌ؟ قَالَ: «وَأَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قَالَ: تَبَّا لِهَذَا مِنْ دِينِ نَبَّا، أَنْ أَكُونَ أَنَا وَهَؤُلَاءِ سَوَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: 1] يَقُولُ: بِمَا عَمِلْتَ أُيْدِيهِمْ"(1).

وفي موضع آخر ذكر الطبري ما ورد عن " عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد: 1] قَالَ: «خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَخَسِرَ» وَقِيلَ: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَصَّ بِالدَّعْوَةِ عَشِيرَتَهُ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] وَجَمَعَهُمُ لِلدَّعَاءِ، قَالَ لَهُ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا؟"(2).

كذلك وقد ذكر الطبري رواية أخرى وردت " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ» فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ فُرَيْشٌ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّبِكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ، أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا وَجَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ إِلَى آخِرِهَا"(3).

وأيضاً ورد " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيَلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ «فَأَيُّ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ» كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"(4).

مما ذكره الإمام الطبري في تفسيره لسورة المسد من رواية أسباب النزول يؤكد اعتماده في التفسير على المعنى المقصود من الآيات الكريمة، حيث أشار الطبري إلى ما ورد في هذا الشأن، مُبيِّناً المراد منه، ووافق ابن كثير الطبري فيما ذكره من روايات في أسباب نزول سورة المسد، فعلق ابن كثير على هذه الروايات وقسمها إلى قسمين، ذكر أن القسم الأول هو دعاء على النبي -صلى الله عليه وسلم- من أبي لهب، والقسم الثاني خبر عنه، فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي أبو لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه(5).

(1) الطبري، جامع البيان، ج 24/ 714.  
(2) الطبري، جامع البيان، ج 24/ 715.  
(3) الطبري، جامع البيان، ج 24/ 715.  
(4) الطبري، جامع البيان، ج 24/ 716.  
(5) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 8/ 486.

كذلك وافق ابن عادل، ما ذكره الطبري وابن كثير في بعض روايات أسباب النزول، في حين أنه ذكر رواية أخرى في تفسيره لسورة المسد، فيما وردت عن "عبد الرحمن بن كيسان قال: كان إذا وفد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد، انطلق إليهم أبو لهب، فيسألونه عن رسول الله ويقولون له: أنت أعلم به منا، فيقول لهم أبو لهب: إنه كذاب ساحر، فيرجعون عنه، ولا يلقونه فأتى وفد، ففعل معهم مثل ذلك، فقالوا: لا ننصرف حتى نراه، ونسمع كلامه، فقال لهم أبو لهب: إنا لم نزل نعالجه، فتنبأ له وتعتسا، فأخبر بذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاكتأب لذلك، فأنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} (1).

وزاد ابن عادل رواية أخرى في تفسيره، فقال: "وقيل: إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجر، فمنعه الله تعالى من ذلك، فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} للمنع الذي وقع فيه" (2).

كذلك وافق ابن عطية، والزمخشري، وابن الجوزي هذه الروايات في تفاسيرهم لسورة المسد الكريمة، حيث يتضح لنا أثر الرواية ودورها في إبراز المعنى وتوضيحه، فمنها ما ورد بشأن نزول السورة الكريمة مباشرة، ومنها ما نزل بشأن أحداث معينة، كما جاء في رواية "عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214] وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاخَاهُ» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فَلَانٍ، يَا بَنِي فَلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ «فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ» كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (3).

كذلك وقد وردت رواية أخرى لم يذكرها أهل العلم من المفسرين كالطبري وابن كثير والزمخشري وابن عادل وابن الجوزي وابن عطية، وهذه الرواية وردت عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: ما كان أبو لهب إلا من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالات قريش؛ حتى حصرنا في الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب؛ لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه، فقال: يا ابنة عتبة! هل نصرت اللات والعزى؟ قالت: نعم، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة! قال: إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنة، يزعم أنها كائنة بعد الموت، فما ذاك وصنع في يدي ثم نفخ في يديه، ثم قال: تبأ لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد؛ فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (1) قال ابن عباس: فحصرنا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة؛ حتى إن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع، حتى هلك فينا من هلك (4).

واستناداً إلى الروايات الموثوقة التي تفسر سبب نزول سورة المسد، يتضح أن السورة نزلت نتيجة أمر إلهي للنبي عليه الصلاة والسلام بأن ينذر أقرب الناس إليه من قومه، كما في قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: 214]. فصعد

(1) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 552.

(2) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج20/ 552.

(3) الطبري، جامع البيان، ج24/ 716.

(4) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج3/ ص 575-577.

النبي عليه الصلاة والسلام على جبل الصفا ليخاطبهم ويُبلغهم هذه الرسالة، مستندًا إلى مكانته وأمانته التي عرفها الجميع عنه، مؤكدًا صدقه وما اتَّصف به.

وكان أبو لهب هو الخصم الأبرز في هذه القصة، حيث كان أشد المعادين للنبي وأكبر أذى له، حتى تحداه أمام الحضور بطريقة تخالف تقاليد العرب آنذاك التي تحكمها الحمية والاحترام. وتشير الآيات أيضًا إلى مشاركة زوجته، أم جميل، في هذه العداوة، حيث كانت تسير معه في معارضته للنبي عليه الصلاة والسلام.

ولهذا، ذكر القرآن أبو لهب باسمه وكنيته، معلنًا عن نقمته عليه وعذابه، ليظل اسمه مرتبطًا باللعنة والندم عبر الأزمان، كما رُبطت زوجته به بحبل من المسد، في إشارة إلى شراكتها في العداوة وحسدهما للنبي عليه الصلاة والسلام طوال حياتهما.<sup>(1)</sup>

وعلى الرغم من أنَّ هناك من بين روايات أسباب نزول هذه السورة روايات تُبين بعض الأحداث المعينة لبعض الآيات القرآنية، إلا أنَّ غالبية أهل العلم من المفسرين اعتمدوا على الروايات الرئيسية الواردة في شأن السورة والتي تُبين سبب نزولها، والتي أخرجها البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام، بعد نزول الآية التي تأمره بإبلاغ أقاربه، صعد على الصفا ونادى قبائل قريش الأقرب إليه، حتى تجمعوا حوله. ولمن لم يستطع الحضور أرسل من يطلع عليه. ثم أخبرهم أن هناك خطرًا وشيكًا قد يهددهم، فسأله إن كان صادقًا في قوله، فأكد لهم صدقه. عندها حذرهم من عذاب عظيم قادم. لكن أبو لهب استهزأ به وعبر عن استيائه من هذا الاجتماع، فأنزل الله عليه آيات تدل على هلاكه وعقابه.<sup>(2)</sup>

## المبحث الخامس والعشرون

### 2. 25. دراسة أسباب النُّزول في سورة الإخلاص

سورة الإخلاص هي السورة الثانية عشرة بعد المئة في ترتيب المصحف الشريف، وقد اختلف أهل العلم في عدد آياتها، فقبل خمس آيات في العد المكي والشامي، وأربع آيات في غيرهما، وقد وقع الاختلاف في قول الله -سبحانه وتعالى (لم يلد) فهي آية عند المكيين والشاميين، وليست كذلك عند الباقيين<sup>(3)</sup>.

وسورة الإخلاص من السور المكية على الراجح من أقوال أهل الهلم، فقد ذهب إلى ذلك عبد الله بن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، كذلك هناك من قال أنَّ سورة الإخلاص من السور المدنية، وذهب إلى ذلك ابن عباس في قول وقتادة والضحاك والسدي<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8/ص514.

(2) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ألن جانبك، ج6/ص111، حديث رقم، 4770.

(3) ينظر: أبو عمرو الداني، البيان في عد أي القرآن، ج1/ص296.

(4) ينظر: الإمام القرطبي، تفسير القرطبي، ج20/ص244.

وهذه السورة الكريمة وقعت بين سورتي المسد والفلق المكيّتين على الراجح من أقوال أهل العلم، وقد افتتحت السورة الكريمة بمطلع متميز يحدد أهم ملامح شخصية السورة الكريمة، حيث أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى أحدية الوجود، وذلك بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، [الإخلاص: 1]، والذي يثبت الوجود الحقيقي لله - سبحانه وتعالى - وينفيه عمرن سواه، كذلك وقد اشتملت السورة الكريمة بيان هوية الله المتصفة بالأحادية، بوصف الله - سبحانه وتعالى - في الآية التي تليها بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، [الإخلاص: 2]<sup>(1)</sup>.

فالسورة الكريمة اشتملت على مقصد جليل، يرتبط بعقيدة المسلم، والتأكيد على أنّ عقيدة المؤمن الحقّة إنما تقوم على إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالوحدانية، والعبادة، والعياذ بكنف الله وحماه من كل مخوف لا قبل للمرء بدفعه إلاّ بالتحصن بجلال الله - سبحانه وتعالى - سواء أكان هذا المخوف من قبيل كيد أعداء الأمة لها، أو مما يكيّله البشر بعضهم لبعض، أو مما يوسوس به شياطين الإنس والجن<sup>(2)</sup>.

الروايات المتعلقة بأسباب النزول في سورة الإخلاص:

ذكر الطبري في تفسيره سبب نزول هذه الآية الكريمة، فقال: "ذُكِرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَسَبِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ جَوَابًا لَهُمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَأَنْزَلَتْ جَوَابًا لَهُمْ. ذُكِرُ مِنْ قَالَ: أَنْزَلَتْ جَوَابًا لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَأَلُوهُ أَنْ يُنْسَبَ لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى"<sup>(3)</sup>.

وفي موضع آخر ذكر الطبري سبب النزول أيضاً، فنذكر ما روي "سَعِيدٍ، قَالَ: " أَتَى رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَهُ؟ فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَفَعَ لَوْنُهُ؛ ثُمَّ سَأَوْا هُمْ غَضَبًا لِرَبِّهِ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَكَّنَهُ، وَقَالَ: اخْفُضْ عَلَيْكَ جَنَاحَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَاءَ مِنَ اللَّهِ جَوَابٌ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ. قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 2] فَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ كَيْفَ خَلَقَهُ، وَكَيْفَ عَضُدَهُ، وَكَيْفَ ذِرَاعُهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ، وَسَأَوْا هُمْ غَضَبًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَقَالَتِهِ، وَأَتَاهُ بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾"<sup>(4)</sup>.

يُفهم مما ذكره الإمام الطبري في تفسيره عن سبب نزول هذه السورة الكريمة أنّ السورة الكريمة نزلت جواباً للمشركين، حينما سألوا عن نسب الله - سبحانه وتعالى - وكذلك سألهم عن مَنْ خلق الله، كما خلق الله - سبحانه وتعالى - الخلق، هنا يستفاد مما ذكره الطبري في تفسيره أنّ سبب النزول كان له دور كبير في بيان المعنى، حيث اعتمد الطبري على ذلك في تفسيره.

أمّا ابن كثير في تفسيره فقد ذكر في سبب نزول هذه السورة الكريمة ما جاء عن "عكرمة. لما قالت اليهود نحن نعبد عزيراً ابن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد

(1) ينظر: البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 374/22.

(2) ينظر: (2) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج5/ص434.

(3) الطبري، جامع البيان، ج24/727.

(4) الطبري، جامع البيان، ج24/728.

الأوثان، أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيهه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله<sup>(1)</sup>.

أما ابن عطية فقد ذكر في تفسيره ما روى عن ابن عباس من أن اليهود دخلوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها، فارتعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى خر مغشياً عليه ونزل عليه جبريل بهذه السورة<sup>(2)</sup>.

وفي موضع آخر بيّن ما قاله أبو العالية قال قتادة: الأحزاب لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: انسب لنا ربك، فأتاه الوحي بهذه السورة<sup>(3)</sup>.

في حين روى الطاهر بن عاشور في تفسيره عن سبب نزولها ما جاء عن "ابن عباس: «أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة (أخا لبيد) أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر: إلام تدعوننا؟ قال: إلى الله، قال: صفه لنا أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من حديد، أم من خشب؟ (يحسب لجهله أن الإله صنم كأصنامهم من معدن أو خشب أو حجارة) فنزلت هذه السورة<sup>(4)</sup>.

يُستفاد من مجموع روايات النزول التي بيّنت سبب نزول هذه السورة الكريمة المعنى المراد، وفي توضيحه، حيث اعتمد عليها أهل العلم من المفسرين في بيان المعاني القرآنية، وبهذا تفسر هذه الآية لأن الله جلت قدرته هو موجود الموجودات، وإليه تصمد به قوامها، ولا غني بنفسه إلا هو تبارك وتعالى، كما أشار إلى ذلك ابن عطية في بيان سبب نزول هذه السورة الكريمة.

وبتحليل روايات أسباب النزول لسورة الإخلاص والتي انقسمت ما بين نزولها في شأن اليهود أو المشركين في شأن بيان نسب الله وصفاته -سبحانه وتعالى- يتبين أهميتها في تفسير المعنى، وإبراز السياق القرآني، من خلال دورها في تقوية المعنى القرآني. فالسورة الكريمة جمعت أصل التوحيد، حيث كان لسبب النزول أثر كبير ودور فعّال في فهم سورة الإخلاص، وما تتضمنه السورة الكريمة بين آياتها العظيمة، وقد تعددت الروايات في أسباب النزول، ما بين سبب نزولها كما ذكرت -سابقاً- في شأن المشركين واليهود، ولكني اكتفيت بذكر بعض الروايات من الجانبين، لبيان أثر سبب النزول في توضيح المعنى، وإبراز السياق.

ومن خلال هذه السورة العظيمة، يتضح أن المحور الأساس فيها هو تقرير التوحيد الخالص لله في ذاته وصفاته وأفعاله، حيث بدأت بإعلان وحدانيته المطلقة، ونفت عنه الولادة والولادة والمماثلة، مما يؤكد سموه عن كل ما يتخيله البشر أو يقيسونه على مخلوقاتهم.

---

(1) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 8/ 497.  
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ 536.  
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 5/ 536.  
(4) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30/ 611.

## المبحث السادس والعشرون

### 2. 26. دراسة أسباب النُّزول في المعوِّدات

سورتي الفلق والناس تُعدّان من السور التي وقع الخلاف في تحديد زمن نزولهما، فذهب جمهور العلماء ومنهم الحسن وعطاء وعكرمة وجابر إلى أنهما مكيتان، بينما رُويت أقوال عن ابن عباس وقتادة وغيرهما ترجّح أن السورتين مدنيتان، ورُجّح هذا القول عند بعض المحققين. وقد أُطلق على هاتين السورتين اسم "المعوِّدتين"، نسبة إلى ما ورد في مطلعهما من الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى والاستعاذة به، حيث تبدأ سورة الفلق بقوله: "قل أعوذ برب الفلق"، وتبدأ سورة الناس بـ "قل أعوذ برب الناس"، ولهذا جاء اسمهما بصيغة التثنية. أما تسميتهما بالـ "معوِّدة" مفردة فغير معروفة في كتب التفسير، وإن كان ابن عطية قد استعمل تعبير "المعوِّدة الأولى" في وصف سورة الفلق. ويُفهم من هذه التسمية المجازية أن هاتين السورتين بمنزلة الحصن الذي يلجأ إليه المؤمن ليتحصن من الشرور والآفات، كما يلجأ الخائف إلى مأمن يطمئنه<sup>(1)</sup>.

وردت تسميات متعددة لسورتي الفلق والناس، ومنها ما يدل على خصائص لغوية وبلاغية أو على أثرهما العقدي في النفس. فمن الألقاب التي أُطلقت عليهما "المشفقتان"، وهو تعبير مأخوذ من فصاحة الخطيب وطلاقة لسانه، تمامًا كما يُقال عن الفحل من الإبل حين يخرج صوته بوضوح وقوة، فيُشبه الخطيب به. وهذه التسمية تعكس انسياب ألفاظ السورتين وقوة تعبيرهما في صدّ الشرور.

ومن الأسماء الأخرى "المشفقتان"، وهي تسمية مذكورة في كتب التفسير مثل "القرطبي" و"الكشاف"، ومعناها أن السورتين تنقيان وتطهّران قلب المؤمن من النفاق والريبة، تمامًا كما تُشفي الجراح أو تُبرأ العلة. وقد عُرف هذا الاسم أيضًا لسور أخرى، مثل "براءة" و"الكافرون"، لأن فيها إعلانًا واضحًا للبراءة من الشرك والنفاق، مما يجعل هذه السور الأربع مجتمعة رموزًا للتنزيه والتوحيد الخالص<sup>(2)</sup>.

فالمعوِّدتان اشتملت على مقصد جليل، وهو تعليم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأمته من بعده كيفية الاستعاذة بالله -سبحانه وتعالى- من كل ما ينبغي أن يحذر منه في أمر الدين والدنيا<sup>(3)</sup>.

### الروايات المتعلقة بأسباب النزول في المعوِّدات:

تتحدث روايات أسباب نزول المعوِّدات عن حادثة تعرض فيها النبي -عليه الصلاة والسلام- لأذى سحري من قبل بعض اليهود، حيث استُخدمت أدوات شخصية له في عمل هذا السحر. وقد نتج عن هذا السحر أعراض غير مألوفة أثرت على حالته، حتى أنه كان يتوهم أشياء لا تقع في الواقع، وفي إحدى الليالي، جاءه وحى من الله سبحانه وتعالى على هيئة رؤيا أو إلهام من ملكين، كشفوا له تفاصيل ما جرى: من الذي قام بذلك، وما الأداة التي استُخدمت، وأين أخفي السحر. وبالفعل، تم إرسال بعض الصحابة لاستخراجه، فوجده في المكان المشار إليه. وعندما أنزل الله سورتي الفلق والناس، بدأ النبي عليه الصلاة والسلام

(1) ينظر: أبو الحسن مقاتل، تفسير مقاتل، ج4/ص935. أبو الحسن الماوردي، النكت والعيون، ج6/ص376.

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ج30/ص623.

(3) ينظر: الإمام الرازي، تفسير الرازي، ج32/ص368.

يتلوهما، ومع كل آية تُتلى كانت تتفكك عُقد السحر واحدة تلو الأخرى، حتى زال أثره تمامًا وشُفي، وقد أكّد النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك أن الله قد شفاه، ورفض أن يتخذ موقفًا انتقاميًا ممن فعل ذلك، مظهرًا رحمة واسعة وحكمة في التعامل، إذ لم يُرد إثارة فتنة أو شر بين الناس.<sup>(1)</sup>

فذكر الثعلبي في تفسيره ما ورد عن " ابن عباس وعائشة رضی الله عنهما- دخل حديث بعضهما في بعض: كان غلام اليهود يخدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فدبت إليه اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدة أسنان من مشطه فأعطاهم اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان، فمرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وانتثر شعر رأسه، ولبث ست أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعدهم عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة قال: وأين هو؟ قال في [جفت طلعة ذكر] تحت راعوفة في بئر ذروان. فانتهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مذعورا وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله سبحانه أخبرني بدائي»، ثم بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحنّاء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه إثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر فأنزل الله سبحانه هاتين السورتين فجعل كلما يقرأ آية أنحلت عقدة، ووجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خفة حين أنحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما أنشط من عقال، وجعل جبرائيل (عليه السلام) يقول: بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك، قال: فقالوا: يا رسول الله أفلا تأخذ الخبيث فنقلته، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرا»<sup>(2)</sup>.

وقد وافق الثعلبي كل من تاج القراء، وابن الجوزي، وابن كثير، والبقاعي، والمظهري، حيث تفيد هذه الرواية أن النبي ﷺ تعرض لسحر من قبل بعض اليهود، حيث أثر عليه في بدنه، فكان يتوهم أشياء لم تحدث، دون أن يمس ذلك نبوته أو يطعن في رسالته. فقد جاءه ملكان من عند الله وكشفا له حقيقة ما جرى، فاستخرج موضع السحر، وحلّت عقده، وشُفي ﷺ بإذن الله<sup>(3)</sup>.

والمتمأمل في روايات أسباب نزول المعوذتان يلاحظ أنّ جميعها في الغالب تتناول قضية سحر النبي -صلى الله عليه وسلم- وإن اختلفت طريقة عرضها إلا أنّها اتفقت في المضمون والمقصود من ذلك، فقد ورد عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-؛ قال: صنعت اليهود لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لم به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما؛ فخرج إلى أصحابه صحيحاً<sup>(4)</sup>.

وعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ عن النساء وعن الطعام والشراب، فهبط عليه ملكان وهو بين النائم واليقظان، فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، ثم قال أحدهما لصاحبه: "ما

(1) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4/ص507.

(2) الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج10/338.

(3) تاج القراء، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج2/1411، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4/507، وابن كثير، تفسير ابن كثير، ج8/506، والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات السور، ج22/416، والمظهري، التفسير المظهر، ج10/375.

(4) الهالبي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج3/ص587-591.

شكواه؟ قال: طب؛ يعني: سحر، قال: ومن فعله؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي! قال: ففي أي شيء جعله؟ قال: في طلعة، قال: فأين وضعها؟ قال: في بئر ذروان تحت صخرة، قال: فما شفاؤه؟ قال: تنزح البئر وترفع الصخرة وتستخرج الطلعة"، وارتفع الملكان فبعث نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إلى علي - رضي الله عنه - وعمار فأمرهما أن يأتيا الركي فيفعل الذي سمع، فأتياها وماؤها كأنه قد خضب بالحناء؛ فنزحها، ثم رفع فأخرجها طلعة؛ فإذا بها إحدى عشرة عقدة، ونزلت هاتان السورتان: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1)} و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1)}؛ فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلما قرأ آية؛ انحلت عقدة، حتى انحلت العقد، وانتشر نبي الله للنساء والطعام والشراب<sup>(1)</sup>.

فما ذكر من روايات تتعلق بأسباب نزول المعوذتان نجد أنها تتفق في قضية سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - من اليهودي، وقد اعتمد كل من الثعلبي وتاج القراء، وابن الجوزي، وابن كثير، والباقعي، والمظهري، والرازي، والسيوطي، ومحمد رشيد رضا، وغيرهم، ومن خلال الروايات الواردة، يتضح أن سورتي الفلق والناس (المعوذتين) نزلتا لهدف عظيم، وهو تعليم النبي ﷺ والناس كيف يلجؤون إلى الله تعالى ويتحصنون به من كل أذى وشر، سواء أكان من الناس أو الجن أو المخلوقات المؤذية أو حتى من أنفسهم. فالسورتان تفتحان باباً واسعاً للاستعاذة بالله من أنواع الشرور الظاهرة والخفية.

في سورة الفلق، نجد الاستعاذة من شر ما خلق عموماً، ومن شر الليل إذا أظلم، حيث تكثر فيه المخاوف والمباغطات، خاصة في الأماكن الخالية، ومن شر السحرة، ومن شر الحاسدين الذين قد يؤذون بحسدهم النفوس والقلوب والعلاقات.

أما سورة الناس، فهي تركز على الاستعاذة من شر الوسواس الخناس، أي الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس ليضلهم، سواء كان من الجن أو حتى من الإنس.

ويُفهم من هذه السور أن الاستعاذة بالله حاجة ضرورية للإنسان في حياته كلها، فهي تحميه من الشرور النفسية والمعنوية، كما تحميه من الأذى المادي والبدني. كما أن استخدام النبي ﷺ لهاتين السورتين في الرقية والتعوذ دليل عملي على أهمية الالتجاء إلى الله عند الخطر، وخاصة في مواجهة السحر والحسد، وقد أطلق العلماء على المعوذتين اسم "المقشقتين"، أي المبرقتين، لأنهما تُطهران قلب المؤمن من النفاق وسوء الظن، وتربطانه بالخالق وحده، فالمعوذتان تعلمنا كيف نعيش محصنين بالله، محاطين برعايته، وواعين للشرور التي قد تحيط بنا من حيث لا ندري.<sup>(2)</sup>

يتبين من ذلك أن الروايات الواردة في المعوذتان تؤثر بشكل مباشر في تحديد معنى الآية، كما في هذه الحالة، ومن ثم يُستفاد من مجموع هذه التفسيرات أن روايات أسباب النزول لها جانب كبير في فهم سياق الآية الكريمة، وبهذا يظهر أهمية التعامل مع الرواية: فيما أن تُفهم في ضوء السياق، أو أن يُقدّم السياق بما يفسّر به الرواية ذاتها.

(1) الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج3/ص 587-591.

(2) ينظر: الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ج5/ص 348، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص 623.

## الخاتمة

الحمد لله الذي اعانني على اتمام هذا الرسالة العلمية احمده واشكره والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله واصحابه أجمعين  
وبعد:

فقد أتممت هذه الرسالة بعون الله تعالى وحوله وقوته بينت فيه المادة النظرية لأسباب النزول بشكل عام والدراسة التحليلية لجزء  
عم بشكل خاص

-أسباب النزول لها أهمية بالغة في فهم الآيات المتحدث عنها فهي الطريق الأقوام لإدراك المعاني والوقوف على مقصدها

-بيان أسباب النزول طريق قوي في فهم معاني القران وعده العلماء شرطا لمن يتناول التفسير

--معرفة أسباب النزول لازمة لمن اراد علم القران

عملت على البحث سورة تلو الاخرى ورجعت فيها الى تفسير الطبري وابن كثير وابن عطيه وابي حيان واللباب للسيوطي وابن  
عاشور والالوسي وغيرهم

-في البداية جمعت جميع روايات النزول المتعلقة بكل سورة ثم بعد ذلك تحققت من أي المفسرين اعتمد على هذه الروايات  
وفضلها وهل استفاد منها في تفسيره للآية أم لا ثم قمت بتقييم هذه الرواية من حيث تأثيرها على الآية وهل أثرت في المعنى  
اللفظي وهل ساعدت في تقوية المعنى أم لا

-ذكر المفسرون روايات استندوا فيها في تفسير المعنى لا لمجرد نقل الرواية بل لتعزيز دلالة الآية وتوثيق معناها من خلالها  
مما جعل المعنى أكثر وضوحا وشمالية

## نتائج الدراسة:

١-ان علم أسباب النزول من اهم علوم القران الكريم التي يحتاج الى معرفتها طالب العلم الشرعي

٢-لا يمكن لأي عالم مفسر ان يقدم على تفسير كلام الله تعالى دون اسباب النزول

٣-يجب على المفسر اتقان هذا العلم قبل البدء في التفسير

٤-اسباب النزول لها اثر كبير في فهم الآيات وبيانها بإزالة اشكالها

أسأل الله تعالى القبول في الدنيا والآخرة وان يكون هذا العمل خالصا لوجهه تعالى  
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله واصحابه اجمعين.

## المصادر والمراجع

- القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
- عبد الله محمود شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.
- جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ/2003م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.
- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، البيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ - 2002م.
- عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، (ت: 444هـ)، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، تحقيق: طارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
- أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع الثستري (المتوفى: 283هـ)، تفسير الثستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
- أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى: 161هـ)، تفسير الثوري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.

تفسير الشَّعراوي - الخواطر، محمَّد متولي الشَّعراوي (المتوفَّى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، مصر، د. ط، 1997م.  
الطبري، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.

أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (المتوفى: 660هـ)، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ/ 1996م.

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.

تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمَّد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفَّى: 197هـ)، تحقيق: ميكولوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 - 1946م.

المظهري، محمد ثناء الله، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية - باكستان، الطبعة: 1412 هـ.  
وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418 هـ.

نخبة من علماء التفسير، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الطبعة الأولى، الشارقة، جامعة الشارقة، 1431هـ.

وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ.

أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.

سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، المجلد السادس، دار الشروق، بيروت.

أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)، تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م.

أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزديّ البليخيّ (المتوفى: 150هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ.

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.

عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، جامعة الشارقة - الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م.

محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاريّ الجعفيّ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه = صحيح البخاريّ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ (المتوفى: 321هـ)، جمهرة اللّغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط1، 1987م.

محمود توفيق محمد سعد، خصائص البيان القرآني في سورة المسد مراجعات في المنهج والبيان، مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد الحادي والعشرون، جمادى الآخرة، 1437هـ.

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: (911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر القاهرة 1424هـ.

محمد إبراهيم الحنفاويّ، دراسات أصولية في القرآن الكريم، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة، القاهرة - مصر، د. ط، 1422هـ - 2002م.

القاضي عبد النبيّ بن عبد الرسول الأحمدي نكري (المتوفى: ق 12هـ)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسيّة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 1421هـ - 2000م.

شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الأوسلي (المتوفى: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، 1955م.

يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمويد بالله (المتوفى: 745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت - لبنان، ط1، 1423هـ.

محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، (ت: 505هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العنصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1412 هـ - 1992 م.

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

نعمة الله بن محمود النخجواني، (ت: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999 م.

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتأويل، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ.

أبو القاسم بن عمر الزمخشري، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.

أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002م.

أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.

محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.

أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ.

- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، **مُختَصَرُ صَحيحِ الإمامِ البُخاري**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.
- محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليميا، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، **مراح لبید لكشف معنى القرآن المجید**، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1417 هـ.
- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، **مَصَاعِدُ النُّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ**، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1987 م.
- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **معارج التفكير ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ - 2000م.
- إبراهيم محمد الجرمي، **معجم علوم القرآن**، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
- الفخر الرازي، ضياء الدين، **مفاتيح الغيب**، دار الفكر، بيروت، 604هـ.
- سيف بن راشد الجابري، **مقاصد أسماء سور القرآن الكريم**، الإمارات، دار الواضح للنشر وتوزيع الكتب والمطبوعات، ط2، 2011م.
- منذر محمد، **مقاصد سور القرآن الكريم**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1411 هـ - 2021م.
- محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: 1367هـ)، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت.
- جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية خصائص السورة**، تحقيق عبد العزيز التويجري، الطبعة الأولى، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، 1420 هـ.
- أبو جعفر النَّحَّاسِ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين التويري (المتوفى: 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، ط1، 1423هـ.

## TÜRKÇE ÖZET

Bu araştırma, Kur'an ayetlerinin nüzul sebepleri ışığında daha hassas bir şekilde anlaşılmasını sağlamayı amaçlamaktadır. Tarihi bağlam, ayetlerin doğru anlamlarını belirleme konusunda merkezi bir rol oynar. Özellikle "Cüz'ü Amme" içinde yer alan kısa sureler, yoğun ve özlü bir üsluba sahiptir. Bu surelerin indiği dönemin bağlamını anlamak, ayetlerdeki belirsizliği gidermeye ve ilahi maksatlarla tam uyumlu bir tefsir sunmaya yardımcı olur. Bu araştırmanın temel amacı, nüzul sebeplerinin sistematik analizine yönelik akademik boşluğu doldurarak, Kur'an'ın tarihî, dilbilimsel ve hukuki yönlerini birleştiren kapsamlı bir yorum geliştirmektir. Böylece, Kur'an ayetlerinin indirildiği gerçek bağlamla uyumlu, daha derin bir anlayış elde edilmesi hedeflenmektedir.

Bu çalışma, nüzul sebeplerinin sistematik bir analizini sunarak, "Cüz'ü Amme" sureleri özelinde ayetlerin yorumlanmasını nasıl etkilediğini ortaya koymayı amaçlamaktadır. Kur'an'ın tefsirinde kullanılan metodolojileri inceleyerek, ayetlerin bağlamlarını nasıl şekillendirdiğini, anlamlarının derinleşmesine nasıl katkıda bulunduğunu ele almaktadır. Araştırmanın temel problemi, nüzul sebeplerinin ayetlerin anlaşılmasına ne kadar etkili olduğu ve bir ayetin neden indirildiğini bilmenin, onun anlamlarını açıklığa kavuşturup kavrayışımızı doğru bir şekilde yönlendirip yönlendirmediği sorusudur. Kur'an'daki pek çok ayet, yüzeyde anlaşılması zor olabilecek veya daha derinlemesine açıklama gerektiren ifadeler içerebilir. Çoğu zaman ayetin ifade tarzı özetleyici veya belirsiz olabilir. Dolayısıyla bağlamsal bir açıklama gerektirir. Bu noktada araştırma, Kur'an'daki ayetlerin iniş sebeplerini anlamanın, metnin doğru yorumlanmasına nasıl katkı sağladığını araştırmaktadır. Özellikle "Cüz'ü Amme" içinde bulunan ayetlerin kısa ve yoğun bir yapıya sahip olmaları, onların tefsir edilmesinde bağlamsal bilginin önemini daha da artırmaktadır.

Bu araştırma, nüzul sebeplerinin ayetlerin yorumlanmasına etkisini değerlendirerek, Kur'an'ın anlaşılmasına nasıl katkı sağladığını ortaya koymayı hedeflemektedir. Kur'an'ın nüzul sebepleri, yalnızca tarihî bir olgu olarak değil, aynı zamanda kelamî ve hukuki boyutlarıyla da ele alınmalıdır. Bu bağlamda, araştırma, ayetlerin indiği tarihî olayları detaylı şekilde inceleyerek, ilahi vahyin nasıl şekillendiğini anlamaya çalışmaktadır. Özellikle erken İslam döneminde yaşanan inançsal tartışmalar ve müşriklerle yapılan fikirsal mücadeleler, birçok ayetin doğrudan bu bağlamda şekillendiğini göstermektedir. Bu ayetlerin indiriliş sebeplerini bilmek, onların ne tür bir mesaj ilettiğini, hangi sosyal veya teolojik bağlamda yer aldıklarını anlamamıza yardımcı olmaktadır.

Araştırmanın bir diğer hedefi ise, sahabe ve tabiinin nüzul sebeplerine dair rivayetlerini ele alarak bu bilgilerin tefsir ilminde nasıl kullanıldığını değerlendirmektir. Sahabeler, Kur'an'ın indiği dönemde bizzat bulunmuş ve bazı ayetlerin inişine şahit olmuş kimseler olarak, tefsir ilminde önemli bir yer tutmaktadırlar. Onların aktardığı rivayetler, ayetlerin hangi bağlamda indirildiğini belirleme konusunda kritik veriler sunmaktadır.

Araştırmada kullanılan yöntem, tarihî, dilbilimsel ve kelimî analizleri içeren kapsamlı bir incelemeyi temel almaktadır. İlk olarak, nüzul sebepleriyle ilgili veriler toplanarak, bunların ayetlerin anlamlarını nasıl etkilediği üzerine değerlendirmeler yapılmaktadır. Sonrasında, ilgili ayetlerin metinsel analizi gerçekleştirilmektedir. Bu süreç, rivayetlerin güvenilirliğini tespit etmeyi ve Kur'an metniyle olan ilişkisini incelemeyi hedeflemektedir. Tefsir kaynaklarında aktarılan rivayetler, doğrudan ayetlerin bağlamıyla karşılaştırılarak, onların yorumlanmasına nasıl katkıda buldukları değerlendirilmektedir. Bu yöntem sayesinde, Kur'an ayetlerinin yüzeysel anlamlarının ötesine geçerek, daha kapsamlı ve derinlikli bir tefsir sunulması amaçlanmaktadır. Araştırma ayrıca, sahih rivayetler ile zayıf rivayetlerin nasıl ayırt edileceğine ve nüzul sebeplerine dair bilgilerin doğruluk derecesini nasıl belirlememiz gerektiğine de odaklanmaktadır.

Yapılan incelemeler, nüzul sebeplerinin ayetlerin doğru yorumlanmasında kritik bir rol oynadığını ortaya koymaktadır. Ayetlerin iniş nedenlerini bilmek, ilahi mesajın hangi şartlarda gönderildiğini açıklığa kavuşturmaya yardımcı olur. Nüzul sebepleri, ayetlerin tarihî ve sosyolojik bağlamlarını ortaya koyarak, onların yalnızca dilbilimsel düzlemde değil, aynı zamanda hukuki ve kelimî açıdan da anlaşılmasını sağlar. Araştırma ayrıca, "Cüz'ü Amme" içindeki surelerin büyük çoğunluğunun kısa ve özlü anlatımlara sahip olduğunu göz önüne alarak, bu surelerin tefsir edilmesinde nüzul sebeplerinin etkili bir analiz unsuru olduğunu göstermektedir. Sahabeler ve müfessirler, bu bağlamda Kur'an'ın yorumlanması için tarihî rivayetlere büyük önem vermişlerdir. Bu rivayetler, ayetlerin anlamlarının şekillenmesine ve onların teolojik mesajlarının doğru anlaşılmasına katkıda bulunmuştur.

Önceki araştırmalara bakıldığında, nüzul sebepleri konusunda birçok akademik çalışma yapılmıştır. Bunlardan biri, ayetlerin bağlamlarının nüzul sebeplerinin doğruluğunu nasıl güçlendirdiğini veya zayıflattığını inceleyen bir çalışmadır. Bu araştırma, bağlamsal delillerin rivayetlerin güvenilirliği açısından nasıl bir kriter sunduğunu analiz etmektedir. Bir diğer önemli çalışma, nüzul sebeplerinin hadis ilmiyle ilişkisini ele almıştır. Bu çalışmada, nüzul sebeplerinin

değerlendirilmesinde hadis kriterlerinin nasıl kullanıldığını ve bu rivayetlerin tefsir ilmine nasıl katkıda bulunduğu incelenmiştir. Ayrıca, müfessirler arasında nüzul sebeplerinin yorumlanmasındaki farklılıkları ortaya koyan bir araştırma, İmam Vahidi ve İbn Hacer'in yaklaşımını kıyaslayarak, müfessirler ile muhaddislerin bu konuya nasıl farklı açılardan yaklaştıklarını değerlendirmiştir.

Her ne kadar bu çalışmalar önemli katkılar sunsa da, araştırmamız özellikle "Cüz'ü Amme" içinde yer alan surelerin nüzul sebeplerini bütüncül bir analizle değerlendirmeyi amaçlamaktadır. Bu bağlamda, araştırmamız mevcut akademik çalışmalara yeni bir perspektif kazandırarak, tarihî ve kelamî açılardan daha kapsamlı bir yorum geliştirmeyi hedeflemektedir.

Araştırmada bazı zorluklarla karşılaşmaktadır. Öncelikle, bazı ayetlerin doğrudan iniş sebeplerine dair net rivayetlerin bulunmaması, çalışmanın metodolojik olarak daha dikkatli ele alınmasını gerektirmektedir. Ayrıca, müfessirler arasında bazı ayetlerin nüzul sebepleri konusunda farklı yorumlar yapılmış olması, bu konudaki değerlendirmeleri zorlaştırmaktadır. Bu nedenle, sahih rivayetleri belirleyebilmek için hadis ilmindeki güvenilirlik kriterlerine dayanmak gerekmektedir. Öte yandan, ayetlerin iniş bağlamlarının sosyal ve siyasal olaylarla ilişkilendirilmesi, tarihî kaynakların derinlemesine incelenmesini zorunlu kılmaktadır.

Bu araştırmanın temel kaynakları arasında, el-Bekai'nin "Nüzum ed-Dürer", el-Kasimi'nin "Mehasinü't-Tevil", İbn Aşur'un "Tahrir ve't-Tenvir", Müfessir Mukatil'in "Tefsir", İbn Cüzî'nin "Teshil li-Ulumi't-Tenzil" ve Şirazi'nin "Envârü't-Tenzil" gibi klasik tefsir kitapları yer almaktadır. Bunlara ek olarak, surelerin amaçlarını ve ilahi mesajlarını ele alan modern akademik çalışmalar da araştırmanın kaynakları arasında bulunmaktadır.

Araştırmanın en önemli sonuçları aşağıdaki şekilde özetlenebilir:

- Kur'an surelerinin ve ayetlerinin nüzul sebeplerinin incelenmesi büyük bir öneme sahiptir. Bu konu, ayetlerin doğru bir şekilde tefsir edilmesi ve anlamlarının açıklığa kavuşmasında temel bir rol oynamaktadır. Zira her ayet belirli bir zaman diliminde indirilmiş olup, belirli bir olay veya durumun bir sonucu olarak nazil olmuştur. Bu nedenle, nüzul sebebini anlamak, ayetin içerdiği mesajın kavranması ve bazı ifadelerdeki muğlaklıkların giderilmesi açısından hayati bir öneme sahiptir.

- Araştırma, bir ayetin iniş sebebinin bilinmesinin, onun indirildiği bağlamın anlaşılmasına katkı sağladığını ve böylece anlamının daha net ve doğru bir şekilde yorumlanmasına imkan tanıdığını göstermektedir. Eğer bir ayet belirli bir olay veya soru üzerine nazil olmuşsa, bu bağlamı bilmek, ayetin amacını ve mesajını açıklığa kavuşturacaktır.

- Nüzul sebepleri, hem dilbilimsel hem de terminolojik açıdan tutarlı bir kavram olarak kabul edilmektedir. Nüzul sebepleri, belirli bir ayetin indirilişine yol açan olaylar veya durumlar olarak tanımlanır. Bu sebepler, Peygamber Muhammed (s.a.v.) ve sahabelerin karşı karşıya kaldığı toplumsal ve dini meseleler çerçevesinde gelişmiş olup, vahyin belirli sorulara yanıt vermesi ya da şer'i bir hükmü açıklaması için inmiştir.

- Cüz'ü Amme, Kur'an'daki en yaygın bilinen ve en sık okunan bölümlerden biridir. Bu cüz, inanç, ahlak, ibadet ve hukuki hükümler gibi çeşitli dini temaları ele alan birçok kısa sure içermektedir. Bu surelerin nüzul sebeplerini bilmek, ayetlerin doğru bir şekilde anlaşılması ve yorumlanması açısından büyük bir önem taşımaktadır.

- Araştırma, Cüz'ü Amme'deki ayetlerin iniş sebeplerini bilmenin, onların maksatlarını doğru bir şekilde anlamak açısından temel bir unsur olduğunu ortaya koymuştur. Bu nedenle, sahabeler ve tabiîn, Kur'an'ın tefsirinde nüzul sebeplerine büyük önem vermişlerdir. Zira bu cüz, şer'i hükümler, ahlaki öğretiler ve dini nasihatler içeren birçok kısa sureyi barındırmaktadır.

- Nüzul sebepleri, ayetlerin anlamlarını açıklığa kavuşturmada ve onların hangi bağlamda indirildiğini göstermede temel bir rol oynamaktadır. Bu noktada, nüzul sebeplerinin Kur'an ayetlerinin yorumlanmasına nasıl katkı sağladığı ve tefsirin doğruluğunu nasıl güçlendirdiği üzerinde durulmuştur.

- Cüz'ü Amme, Kur'an'ın son bölümü olup, çeşitli inançsal ve ahlaki konuları içeren birçok kısa sureyi barındırmaktadır. Ancak, bu surelerdeki ayetler, iniş sebepleri bilinmeden yorumlandığında farklı anlamlara sahip olabilir. Dolayısıyla, ayetlerin indiği olayları anlamak, onların anlamlarını tam olarak kavramada kritik bir öneme sahiptir.

- Araştırma, nüzul sebeplerinin Peygamber Efendimiz (s.a.v.) dönemindeki olaylar ve toplumsal gelişmelerle doğrudan ilişkili olduğunu ortaya koymaktadır. Dolayısıyla, ayetin hangi

tarihsel bağlamda nazil olduğunu bilmek, onun gerçek anlamına daha doğru bir şekilde ulaşmayı mümkün kılmaktadır.

- Ayetlerin iniş sebeplerini bilmek, onların hangi zaman ve mekânda indirildiğini belirlemeye yardımcı olur ve böylece ayetlerin hangi bağlamda uygulanması gerektiğine dair daha doğru bir kavrayış sağlar. Bazı ayetler, belirli bir tarihsel olayla bağlantılı olabilir ve bu bağlamı bilmek, ayetin doğru bir şekilde anlaşılmasına ve yorumlanmasına yardımcı olur.

- Nüzul sebeplerinin bilinmesi, ayetlerin doğru bir şekilde anlaşılmasını sağlamakla kalmaz, aynı zamanda onların yanlış yorumlanmasını ve hatalı çıkarımlar yapılmasını da önler. Bu bilgiler, hem ayetlerin tarihsel bağlamını anlamada hem de tefsir sürecinde büyük bir öneme sahiptir.

- Araştırma, nüzul sebeplerinin müfessirler tarafından ayetlerin anlamlarının doğru bir şekilde anlaşılması ve yorumlanması için temel araçlardan biri olarak kabul edildiğini göstermektedir. Bu durum özellikle Cüz'ü Amme'deki kısa sureler için geçerlidir, zira bu sureler yoğun anlamlar içeren özlü ifadelerden oluşmaktadır.

- Araştırma, nüzul sebeplerinin belirlenmesinde en büyük zorluklardan birinin, bazı ayetlerin iniş sebeplerine dair kesin ve açık rivayetlerin eksikliği olduğunu ortaya koymaktadır. Bu eksiklik, özellikle Cüz'ü Amme'deki ayetler için geçerli olup, müfessirlerin bu ayetleri yorumlarken karşılaştığı en büyük zorluklardan biridir.

Bu bulgular, nüzul sebeplerinin Kur'an tefsirinde merkezi bir role sahip olduğunu ve bu bilgilerin bilinmesinin ayetlerin yorumlanmasına derinlik kazandırdığını göstermektedir. Kur'an'ın kapsamlı bir şekilde anlaşılması için tarihi bağlamın doğru bir şekilde kavranması ve nüzul sebeplerinin titizlikle incelenmesi gerekmektedir.